جوثارهازم
إسلام عماد
6 حارة الجريمة
6 Crime Alley

Gotharcasm

رواية ساخرة

إسلام عماد

2020

لمن لا يعرفني, أنا ديدبول...أهم شخصية بطل خارق ظهرت علي صفحات الكومكس..

يعلم الجميع مدي عظمتي, و مكانتي الهامة بين سائر زملائي الابطال الخارقين,و لمن لايعلم, فأنا اقولها لكم بنفسي و بكل تواضع : أنا رائع !

رائع لدرجة أن المؤلف لم يجد من هو أفضل و اكثر جنوناً منّي ليقوم بتقديم تلك الرواية التافهة, و برغم انشغالي بمشاهدة مباريات كرة السلة و البيسبول و اكل البيتزا الباردة المغطاة بقطع الاناناس, لكني قررت أن اعطيه بعضاً من التقدير الغير مستحق, و اتطوع بإرشادكم في بداية روايته الساخرة..

حسناً...فلنختار تاريخاً للبدء..

إنه السابع و العشرين من ابريل لعام 1993...ما المميز بذلك التاريخ؟ لا شئ سوي أنه يوم مولد مؤلف تلك الرواية...تباً, لا داعي للتفاهات منذ البداية أيها المؤلف, فلنختر تاريخاً مميزاً بالفعل...اعطني حزمة من الرقم 9...إنه رقمي المفضل..

إنه التاسع من سبتمبر لعام 1999...هكذا تُصنع التواريخ المميزة عزيزي المؤلف ^_^

يتبقي ان نختار مشهداً للبداية...مممممم...لابد من تجربة علمية عظيمة, تتسبب في خطأ ما, إنها قاعدة هامة لدينا في عالم الكومكس..

ننظر نحو عالم مارفل, فنجد العالم العبقري" ريبد ريتشاردز" الشهير بـ"مستر فانتاستك", ممسكاً بجهاز صغير يقوم بقراءة قياسات آلة ضخمة لإستكشاف العوالم الأخري يقوم بصنعها سراً في معمله الخاص...ذلك الرجل مهووس بالاختراعات السرية, لينتهي الامر بإكتشاف زوجته لتلك الاختراعات, و قيام باقي فريق الفانتاستك فور و فريق الافنجرز بمحاولة معالجة النتائج المدمرة لإختراعاته..

نظرة اخري نحو عالم معاكس...عالم دي سي, حيث انكب العالم "راي بالمر" المعروف بالهوية الخارقة "اتوم = الذرة" علي وضع اللمسات الاخيرة بإختراعه الجديد القادر علي الانتقال عبر الأبعاد و العوالم الأخري..

نعود مرة أخري إلي عالم مارفل, فنشهد حدثاً عظيماً متمثلاً في انتهاء العالم العبقري الشرير"دكتور دووم" من صنع آلته الخاصة لدمج الأكوان و العوالم الموازية, لقد صنعها اخيراً بعد اختبارات طويلة..

نختم تحركاتنا السريعة بعودة لعالم دي سي, حيث يمسك رجل الاعمال الشرير "ليكس لوثر" بين يديه بجهاز التحكم الخاص بالأبعاد, والذي يريد به نفي سوبرمان إلي عالم آخر إلي الأبد..

..

زفر "ريد ريتشاردز" , و كذلك زفر "راي بالمر" ليشعروا بالراحة بعد نهاية تجاربهم.. نظر "دكتور دووم" نظرة تمتلئ بالنصر خلف قناعه المعدني, نظرة تماثل نظرة "ليكس لوثر" نحو جهازه بعد الانتهاء من تجهيزه..

ضغط الاربعة ازرار اجهزتهم سوياً...إنها اللحظة التي ستتسبب في كارثة كونية لا مثيل لها, وسأعتبرها انا عيداً قومياً لليوم العالمي للتلاعب بالأبعاد...هل سيحتسبه المديرون إجازة رسمية ؟ لا أدري...

سأجري لأختبئ خلف غلاف الرواية, بينما تتسبب تلك الاجهزة في مزج عالم مارفل بعالم دي سي بعوالم اخري عديدة, منها عالمكم الحقيقي أيها القراء, ليظهر عالم جديد, له اصول و تاريخ قديم و حاضر و كل تلك التفاصيل ..و استقر اغلب الابطال الخارقين و فرقهم و مغامراتهم و شخصياتهم في مصر بدلاً من امريكا, وذلك لأن مصر أم الدنيا...مش محتاجة شرح يعني..

هاقد انتهت مقدمة الرواية, لقد تملكني الحماس.. فلنر ما سوف يحدث لاحقاً ^_^

(1)

تررررررن...زززززز...بووم

احترق جرس الباب بإنفجار خافت...يالها من بداية مثالية لليوم!

تركت غرفتي خارجاً نحو باب الشقة, لأمر في طريقي بالصالة التي جلست فيها أمي متسمرة امام التليفزيون, فتحت باب الشقة فلم أجد احداً...تباً لمزاح الاطفال السخفاء..

لكن نظرت اسفل قدمي, فوجدت ورقة فاتورة الكهرباء وقد استقرت بثبات امامي فانحنيت لأمسكها, وبمجرد قيامي مرة أخري شعرت بلفحة من الهواء الساخن تصدمني..

نظرت امامي لأجد محصل الكهرباء واقفاً امامي بإبتسامة لزجة, بينما تلمع بطاقة تعريفه علي بذلته الرثة.."عبد الباري فلاش"..

عبد الباري: "بعد اذنك الفلوس عشان مستعجل"

وضعت كفي في جيب بنطالي بحثاً عن النقود, فوجدته قد اختفي فجأة من امامي!

اكملت بحثي لثوان, لأجده قد ظهر مرة أخري...

عبد الباري: "و اديني خدت فلوس مدام سلوي اللي ف الدور الخامس...من فضلك الفلوس عشان مستعجل جداً..قدامي عشر دقايق اخلص فيها الشارع بتاعكم كله !"

وجدت النقود في جيبي الآخر, وقبل خروج يدي من الجيب, اختطف "عبد الباري" النقود من يدي صائحاً: " شكراااااا..."

تسمرت لثوان قليلة مندهشاً من ذلك المحصل المتعجل...

عدت لإغلاق الباب, فظهر المحصل مرة أخيرة قائلاً بتعجل:

" باقي لك 3 جنية يا باشا.."

ثم اختفي راكضاً بسرعته الخارقة, بينما رنت علي الأرض ثلاث عملات معدنية من فئة الجنية..

****

استقبلتني أمي في الصالة مستفسرة عن هوية الطارق, فأجبتها, لتمط شفتيها قائلة:

"دايماً مستعجل الجدع اللى اسمه عبد الباري دا... بيقولوا عليه انه اسرع محصل فواتير كهربا فيكي يا قاهرة.."

جلست بجانب أمي المنهمكة في تقشير الخضروات تمهيداً لطهي الغداء, بينما علا صوت التليفزيون امامها بصوت المذيع الأجش صراخاً و لعناً بخصوص موقف ما لم أفهمه..

خرج إلينا أخي الأصغر من غرفته ذو الستة عشر عاماً صائحاً بأمي:

" عاوز فلوس يا حاجة عشان الجيم"

سألته بعصبية:

"جيم إيه يابني؟ نفسي اشوفلك عضلة بأه دانتا بقالك خمس شهور بتروح"

اجابني ببرود:

"ملكش دعوة انتا...ها يا حاجة, فين الفلوس؟"

ردت أمي بحزم:

"متكلمش اخوك الكبير كده يا واد...وبعدين يابني لو الجيم دا ملهوش لازمة كده, خلاص وفر فلوسه لنفسك احسن.."

اجابها اخي مقاطعاً:

"ملهوش لازمة ازاي, دا الشارع كله بيروح له من ساعة ما فتح...الكابتن "بيين" قدر يساعد شباب المنطقة كلهم يعملوا فورمة حلوة اوي.."

تمتمت بسخرية:

"طبعاً عشان يعجبوا البنات...بس مش دا اللى اتقال انه بيدي العيال منشطات ممنوعة ؟ "

ولولت أمي بخوف:

"منشطات ممنوعة ! اوعي يا واد تروح له تاني بقولك اهو...سامعني؟ "

لوح أخي يده بعصبية قائلاً:

"يابني بطل هبد...اسمها مكملات غذائية..فكك منه ياما دا مبيفهمش والله "

تركتهما في جدالهما الحائر, لأعود إلي غرفتي لإستكمال مشاريعي المستقبلية, فمررت علي غرفة اختي الوسطي, لأجدها منشغلة بالتدوين في دفاتر المحاضرات, بينما ارتدت سماعات الموسيقي الضخمة علي اذانها, فلم تنتبه لوقوفي امام باب غرفتها..

لم ارغب في مقاطعتها عما تفعله, واكتفيت بمشاهدة غرفتها التي دائماً كانت مثالاً للفوضي و عدم التنظيم, فتجد الكتب و الادوات و الملابس و قد تناثرت بأي مكان و كل مكان بلا شكل واضح, و قد امتلأت الجدران ببوسترات فرق الموسيقي الكورية الذكورية التي اجد فيهم انوثة تفوق انوثة اختي نفسها, ثم ستيكر متوسط الحجم لـ"جروت" مطرب الراب الأشهر في امريكا...

اتذكر ماقيل عنه سابقاً, حيث كان عضواً في فرقة غنائية مشهورة, ثم عاني لفترات طويلة من الاضطهاد و السخرية والتي أتت حتي من اقرب الأصدقاء في الفرقة, فتركهم و عمل منفرداً ليصبح علامة من علامات الراب, ولا ادري كيف يحدث ذلك لشخص لا يكف عن ترديد جملة " اي آم جروووت" بلا انقطاع...كيف يفهمه عشاقه و متابعينه ؟ الله اعلم...

عدت لغرفتي اخيراً, و بدأت في اخراج اوراقي الخاصة, لأبدأ الإعداد لمشروعي الأعظم...أفضل رواية عن الابطال الخارقين!

ولكن بمجرد اخراج الاوراق, شعرت بصعوبة الأمر...الأفكار واضحة و النية جاهزة, ولكن لا اعلم من أين ابدأ...سأحتاج للاسف عوناً من عقل اخر بجانب عقلي, و الأسف سببه هو لجوئي لعقل "مرعي" صديقي الصدوق, والذي اشك اساساً في قدرته علي المساعدة..

تركت الغرفة مرة أخري لأغادر البيت نحو المقهي, حيث يقبع "مرعي" صديقي دائماً, فمررت بأمي التي انتهت من تقشير الخضروات, وبدأت في تعذيب بعض الدجاجات النيئة بتشريحها و تصفيتها بمهارة تفوق أمهر السفاحين المتسلسلين, بينما اصغت بعناية لما تشاهده علي التليفزيون, الذي يستضيف حلقة من برنامج "المسامح كريم" وفيه محاولة الصلح بين بطل خارق و زوجته, التي تشكو من أن زوجها يمتلك سمعاً خارقاً يمكنه من سماع استغاثة المحتاج علي مسافة الآف الأميال, ولكنه لا يصغي إلي نقاشاتها معه في بيتهم...حسناً هذا يكفي, سأترك المنزل حالاً متجهاً للمقهي, ربما أجد العون لدي صديقي المعتوه..

****

حسناً, هاقد عاد إليكم ديدبول مرة أخري, ليكشف لكم المستور, ويأتي إليكم بكل ماهو محظور ^_^

شاهدنا "هلال" بطل الرواية, وهو شاب بسيط, و مؤلف مغمور يرغب في كتابة رواية ينشرها بمعرض الكتاب القادم, ويعتبرها مشروعه الأعظم...أظن ذلك واضحاً, ولا ادري لماذا اخبرتكم بتلك المعلومات المكررة, ولكن استعدوا للقادم, فكما قال احد الحكماء: "طريق الألف ميل يبدأ بخطوة..."

****

(2)

سحب "مرعي" نفساً عميقاً من مبسم الشيشة, ثم حبسه بداخله لثوان خرج بعدها الدخان متقطعاً علي فترات سريعة..

نظرت له بإشمئزاز قائلاً:

"ساعدني يا عم اللمبي وحيات أبوك...انا مش عارف ابدأ منين ف الرواية دي.."

اجاب "مرعي" بنظرة فاحصة:

" طب ليه متبقاش انتا بطل خارق اسهل لك ؟ "

لم يعبأ بنظرتي الاستنكارية و اردف:

" اصل حوار الكتابة دا اعتقد انه محتاج مجهود يعني...لازم تكون بتعرف تكتب كويس ع الاقل "

اجبته:

" يابني انا نزلت روايتين قبل كده !"

اجاب "مرعي" ضاحكاً:

"اعذرني يسطا يعني, مانتا عارف ان محدش قراهم إلا صحابك و الجيران..حاجة ع الضيق و كده...انتا مادمت مهتم بالابطال الخارقين اللى حوالينا دول, يبقي لازم تتعلم منهم.."

سألته مهتماً:

" لأ فهمني...اتعلم ايه بالظبط؟ "

اعتدل في جلسته بكل فخر, و نظر نحو السماء قائلاً بتركيز:

"خد عندك...(طوني خليفة) عشان يبقي ايرون مان, حصل له.."

قاطعته باعتراض:

" طوني خليفة إيه ياعم...اسمه (طوني طارق)"

لوح بيده قائلاً بلا اكتراث:

"ياسيدي مش فارقة...المهم, عشان يبقي ايرون مان, خطفوه بتوع داعش و قدر يهرب منهم بعد ما عمل البدلة الحديد بتاعته, وبعدها قرر يحارب الارهاب...يا سلام عليه و علي وطنيته...تحيا مصر والله"

اخذ يدندن بلحن احدي الاغاني الوطنية الشعبية, فسألته مستفهماً :

"يعني ايه برضه؟ اخلص و هاتلي من الاخر"

اشار إلي جانب رأسه بعلامة التفكير قائلاً:

"يعني الخلاصة عشان تنجح, متتعبش و تجتهد..لأ, انتا قوم دور علي بتوع داعش يخطفوك او يقتلوا حد من اهلك, وبعدها قرر انك تبقي بطل عظيم قد الدنيا, و الكل هياخدك قدوة زي طوني خليفة كده.."

اجبته : "يابني اسمه طونـ...ما علينا"

امسكت بالجريدة الموضوعة بيننا علي المائدة المعدنية الصغيرة, بينما اكمل "مرعي" تدخين الشيشة و متابعة المارة امام القهوة بعيناه الناعستين..

وجدت امامي بالصفحة الأولي خبراً رئيسياً لـ"طوني طارق" بعد اعلانه اختراع أول سيارة تعمل بعصير السوبيا, ليعطيها اسماً تجريبياً "مت - سوبيا - بيشي"...ماهذا الهراء؟ نظرت لنهاية الخبر, فوجدته من كتابة الصحفي "محمود كينت", فألقيت الجريدة لاعناً إياها برفقة كل تلك الجرائد التي تنشر مالا يليق بأن يتواجد علي صفحة فيسبوك سيئة السمعة..

سألني "مرعي" من بين انفاسه الدخانية ذات الرائحة الغريبة:

"بس احنا دلوقتي ف نص ديسمبر, ومعرض الكتاب اخر الشهر الجاي, هتلحق تكتب الرواية و تنشرها ف الوقت الضيق دا ؟ "

اجبته بسهولة: "عادي جداً, فيه ناس بتكتب روايات ف 5 ايام,و تقلب الدنيا قبل ما حتي تنزل المعرض "

بلع "مرعي" اعتراضه قبل ان يخرج علي هيئة لفظ جارح, و استكمل نفث الدخان كموتور اتوبيس النقل العام, ثم ألقي سؤالاً آخر من اسئلته التي لا تنتهي..

" بس لازم يعني حوار الابطال الخارقين دا؟ ماتكتبلك اي رواية رومانسية ولا رعب ولا حتي خواطر, ويمكن تضرب معاك و تعجب الناس؟"

نظرت بعيداً عنه في شرود نحو الشارع المكتظ بالسيارات و المارة قائلاً:

"من حسن حظي اني في مصر...مهد الحضارة و الابطال الخارقين من الاف السنين, مش عارف البلاد التانية زي امريكا مثلاً عايشة إزاي من غير ابطال خارقين ! طب لو جالهم غزو فضائي زي اللى بيجي لنا كل كام سنة كده, هيتصرفوا إزاي؟ ولا هينقذوا الأرض بمين ؟

هز "مرعي" رأسه توكيداً لكلامي, ثم قال بحزم:

" فكك من معرض السنة دي...خليك ف السنة الجاية احسن والله, كده يبقي لسه قدامك سنة بحالها توضب حالك فيها...المهم, تعالا معايا عاوز اجيب فانوس لخطيبتي بدل ما تقتلني..دانا مجهز ال200 جنية دي بالعافية.."

"200 جنية ف فانوس ! ليه ياجدع؟ وبعدين رمضان لسه قدامه كام شهر ! "

اجاب "مرعي" بثقة:

"ماهو دلوقتي مش الموسم بتاعه, فهيبقي ارخص...وبعدين انا مكلف نفسي و هجيب حاجة من الغالي, هروح خان الخليلي, وهناك فيه محل اسمه "الفانوس الأخضر" عنده احسن فوانيس فيكي يا مصر..كنت ناوي اجيبلها ورد من البت "فيفي" اللى فاتحة مشتل في الحي السابع, واهو الفالنتاين قرب برضو و الناس بتشتري ورد من عندها بالهبل...عقبالك يسطا بأه "

اجبته بنفس الثقة:

"لا ياعم, انا فقدت الأمل خلاص, مش مكتوبلي جواز.."

ربت علي كتفي قائلاً بحماس:

"اللى يصبر ينول.. الواد بيتر الفوتوجرافر اللي عامل زي البرص , عمته جابتله عروسة شافتها ف الكنيسة انما ايه...لووووز..عارفها؟ البت "ميري" الصاروخ ام شعر احمر اللى بتشتغل ف محل الكوافير اللي ورا القهوة...بتحصل يسطا, بتحصل والله"

اطرقت برأسي دون اهتمام, بينما بدأ "مرعي" في جمع حاجياته من علي المائدة المعدنية استعداداً للرحيل, و قبل ان ندفع الحساب, وجدنا شاباً نحيلاً بتيشرت أخضر فاقع اللون و قد أتي نحونا, و بصوت أخنف طلب منا نسخة الجريدة, فأعطيته إياها فوراً, لا داعي للاحتفاظ بها أساساً..

دفع "مرعي" الحساب للنادل, وبمجرد عودته سألته عن هوية ذلك الشاب النحيل الذي اثار دهشتي بما فعله, فأخبرني "مرعي":

"دا الواد ابو نجمة, بس هنا ف القهوة مسميينه (إستفهامة), عشان بيقعد علي القهوة طول اليوم بيحل في الكلمات المتقاطعة, والناس بتسأله في اي معلومة يجاوبهم...شكله كان عبقري, بس دماغه لسعت ياعيني...ياللا يابني هنتأخر علي بتاع الفوانيس.."

****

(3)

اتجهت إلي مقر دار النشر التي سبق وأن نشرت رواياتي لديهم, و فور وصولي للبناية التي احتوت مكتب الدار بطابقها السفلي...إحم, هو اشبه بجراج قديم, ولكن لا يهم, فعديد من الشركات العالمية مثل "آبل" و "امازون" بدأوا داخل اماكن بسيطة مثل ذلك الجراج...

خطوت لداخل المكتب, فلم أقابل أحداً...لا موظفين, لا سعاة, فوصلت متعجباً إلي غرفة مكتب مدير الدار, والذي طرقت بابه مستئذناً, فتناهي إلي سمعي صوت جلبة آتٍ من الداخل..

فتحت الباب لأدخل الغرفة, فوجدت أمامي الحاج "حاتم" مدير الدار, والذي تنفس الصعداء بمجرد رؤيتي قائلاً:

" هو انتا...الحمدلله افتكرتك ناس تانية.."

سألته:

"ناس تانية زي مين؟ "

تلعثم قائلاً:

" لأ متشيلش ف بالك, دي مشاكل مالية بسيطة...المهم, نورتنا يا مبدع...تشرب إيه الأول؟"

اجبته: "ملهوش لزوم التعب والله.."

رد: "مفيش مشاكل, كده كده موظفين الدار انهارده كلهم اجازة.."

ابتسمت قائلاً:

"و جاي حضرتك انهارده للشغل بنفسك؟ كان الله ف العون يافندم...انا كنت جايلك في موضوع بسيط كده.."

ثم اعتدلت في جلستي قائلاً:

"انا دلوقتي كنت عاوز.."

قاطعني الحاج "حاتم" بغتة:

"ثواني ثواني, اما نسمع بيقولوا ايه في التليفزيون.."

استدرت مثله نحو شاشة التليفزيون بينما قام بزيادة معدل الصوت, ليعلو صوت مذيعة اخبار الساعة أثناء تحدثها بطريقة آلية ثابتة:

" وتستمر اليوم التحقيقات مع رجل الاعمال (ابو الروس عوضين) الابن الوحيد لرجل الاعمال الشهير (تامر عوضين) اكبر رجال اعمال نظام مبارك السابق, والذي تم إلقاء القبض عليه منذ اسبوع إثر دورية مفاجئة بإحدي الاماكن المهجورة بجانب الطريق الدائري,و قد تم القبض عليه متلبساً بحيازة كمية من مادة الكوكايين المخدرة, و برفقته "س. ك" و تعمل كموديل إعلانات و التي اشتهرت بظهورها في بعض المشاهد الغنائية لفيلم مغمور بعنوان "بوسي كات".."

اتسعت عينا الحاج "حاتم" بانبهار عند ظهور صورة فتاة الاعلانات الساخنة بالفعل, فحاولت مقاطعة الأنباء بصوت خافت:

"يا حاج حاتم.."

لم يأبه بمقاطعتي, واستمر منتبهاً بشدة للأخبار, فتنحنحت بصوت عال قائلاً:

"يا حاااااااج حاااتم.."

****

انتفض من موضعه فجأة, ناظراً نحوي وكأنه يراني للمرة الأولي, ثم تلعثم ممسكاً بريموت التليفزيون مغلقاً إياه قائلاً بعصبية:

"اعوذ بالله من غضب الله...مش عارف الناس دي عارفة تعيش كده ازاي..اعوذ بالله"

سألته بسخرية:

"مش عارفة تعيش ازاي, دا راجل ملياردير و الفلوس بالنسبة له زي المناديل يا حاج"

اجابني باهتمام:

"بس واضح انه قديم في حوار المخدرات دا...انا كنت اسمع انه كان بيروح المقابر عشان يشتري المخدرات اللي بيضربها, و عنده فيلا في الرحاب, عاملها للحفلات الخاصة..." ثم غمز بعينه اليمني..

لم اهتم بإكمال ذلك الحديث, فعدت إلي نقطة البداية قائلاً بحزم:

"المهم يا حاج, سيبك من (ابو الروس) دلوقتي, وخلينا في المهم...انا عاوز انشر رواية للمعرض الجاي بإذن الله"

جلجلت ضحكة الحاج "حاتم" والتي اتبعها قائلاً:

"رواية؟ و المعرض الجاي؟ و ليه جاي بدري اوي كده يابني؟ هاهاهاهاهاها"

اجبته بنفاد صبر:

"انا عارف اني اتأخرت عن المواعيد الرسمية لتسليم الروايات, بس المرة دي جايبلك فكرة رواية عبقرية, اضمن لك هتكسر الدنيا لما تنزل المعرض"

اجابني بلا اهتمام:

" مش فارقة, المهم مجهز فلوسك عشان تنشر ؟ "

ساد الصمت لثوان, قلت بعدها:

"بصراحة, الفلوس مش متوفرة حالياً...بس صدقني لو سمعت الفكرة, هتتحمس لنشرها علي حسابك, و اوعدك ان مكسبك فيها مضمون 100%"

اختفت امارات السعادة و الضحك من وجه الحاج "حاتم" في ثانية, ليقطب جبينه بعدها قائلاً:

" الميزانية دلوقتي مش مناسبة, تعالا معرض السنة الجاية وعليك خير..سلام عليكم"

سارعت بإخراج اوراقي من شنطتي واضعاً إياهم امامه علي المكتب قائلاً:

"طب استنا اسمعني بس...دلوقتي دي مسودة الرواية عن الابطال الخارقين...كل الابطال بيبقي ليهم قصة مهمة قبل ما يبقوا ابطال...انا بأه

هعمل قصة البطل الخارق اللى اجتمعت فيه كل المآسي و القصص التقيلة, عشان يبقي افضل بطل ممكن, و هخليه يـ..."

قاطعني الحاج "حاتم" رافعاً كفه أمام وجهي..

"حيلك حيلك يابني, انتا فاكرها سهلة كده ؟! اللى انتا بتقوله دا ينفع لو هتعمل تورتة عيد ميلاد...نص كريمة و فواكه و نص شوكلاته...لكن في الكتابة لازم يبقي فيه اصول و قواعد.."

رددت ورائه بهدوء:

"حلو...الاصول و القواعد هحاول اطبقها كويس في الرواية, و امزجها بفكرتي عشان يـ.."

قاطعني مرة أخري صائحاً:

"يابني اهدا شوية...فكرتك مش وحشة, و ممكن ابدأ ادورها في دماغي, بس اسمع مني الاول ايه هي الاصول و القواعد عشان توفر علي نفسك كل الدوشة دي..

****

بص يا سيدي..

زي ما فيه "قواعد العشق الأربعون", دول بأه " قواعد الابطال الخارقين العشرون"...

القواعد اللى عملت نجاح كل بطل خارق علي ارض مصر المحروسة, و جابت السكر و الضغط و جميع الامراض المستوطنه لأعدائهم اهل الشر الملاعين..."

وبدأ يعد علي صوابع ايديه:

" نمرة واحد...من اولها كده, باتمان هو الكل ف الكل, فمتحاولش تعمل شخصية زي باتمان, عشان هتبقي مفضوح أوي"

هززت رأسي قائلاً:

"ماشي...باتمان عمنا و تاج راسنا...إيه تاني؟"

اجاب بحزم:

"متقاطعنيش تاني...المهم, نمرة اتنين : البطل الخارق لازم تحصل له كارثة كبيرة عشان يبقي بطل كبير..."

وقتها تذكرت مقولة "مرعي"...هل "مرعي" عبقري بالفعل؟ ام مدير الدار هو من يماثل ذكائه ذكاء "مرعي " المحدود ؟

منعت نفسي من الاسترسال في التفكير, لأستمع إلي بقية حديث الحاج "حاتم" الذي أردف:

"نمرة تلاته: لو قتلت شخصية من الشخصيات, مينفعش ترجع من الموت...استغفر الله العظيم, احنا هنكفر ولا إيه ؟

نمرة أربعة: لو هتعمل شخصية بطلة خارقة, لازم تبقي صاروخ...فاهم؟ اسرح بخيالك جاامد, يمكن حظك يبقي حلو و منتج يشوف روايتك و يعملها فلم ف موسم العيد, ويا سلام لو صوفينار تبقي بطلة الفلم....ياااه...أما بطل بصحيح !

و بمناسبة اننا بنجيب ف سيرة البطل, يبقي لازم تعرف ان البطل مينفعش يقتل ناس...احنا برضو بنربي النشء علي الاخلاق الحميدة, ومينفعش نعرضهم للعنف بشكل واضح كده...ودي نمرة خمسة..

نمرة "لامؤاخذة" ستة: اي بطل مبتدئ لازم يتعب و يجتهد و يفضل طول الليل يذاكر و يشقى..و بإذن الله, وببركه دعا والديه هيبقى اعظم بطل خارق...لكل مجتهد نصيب, وربك لا يضيع اجر من احسن عملاً..

نمرة سبعة و دي الاهم: ركز ف روايتك ان تسعين ف المائة من الكواكب و العوالم التانية بتتكلم عربي لبلب , اكيد مش منطقي انك تخليهم بيتكلموا انجليزي مثلا !

نمرة تمانية: اسرق افكار من الناس, عادي يعني...اكبر و اشهر منك و بيعملوها كتير.."

ثم صمت...

فسألته متعجباً:

"اومال فين بقية القواعد العشرين ؟"

اجاب منفعلاً:

" مش فاكر ...يابني هو انا مخي دفتر؟ "

شعرت بخيبة امل, ولكنه استكمل قائلاً:

"لكن متقلقش, خلال رحلتك هتعرف بقية القواعد بنفسك...بص, انا اتفاءلت بالرواية دي, و قررت انشرهالك, بس انتا انجزها بسرعة عشان نلحق نحطها في جدول طباعة اعمال المعرض.."

شعرت بالسعادة البالغة, فقمت مصافحاً إياه بحماس وقوة, قائلاً:

"اوعدك مش هخيب ظنك ابداً يا حاج.."

اجابني بسماجة:

"ماشي يا عم ريكسونا...المهم عشان تقدر تكتب عن الابطال بشكل صحيح, لازم تقرب منهم, ولازم تسمع منهم حكاياتهم كويس..."

ثم اخرج ورقة و قلماً, خط به بعض الكلمات بسرعة, ليهمس بعدها:

"دول شوية ابطال خارقين اعرف سكتهم , بس متقولش لحد..روح لهم و قوللهم انك جاي من طرفي, وهما هيساعدوك.."

نظرت إليه باعتزاز, ووضعت الورقة في جيب قميصي بعناية, ثم تذكرت شيئاً, فسألته :

"طب صحيح, بالنسبة لأرباح الروايتين اللي اتنشروا قبل كده...إيه الاخبار؟ "

تظاهر الحاج "حاتم" بعدم السمع, ثم فتح درج مكتبه ليخرج ورقتين من فئة العشرة جنية قائلاً:

"خد دول يا هلال عشان مواصلاتك..سلامي للحاجة بأه"

****

(4)

المحطة الأولي: زيارة إلي البطل الخارق "المصطبح" !

نظرت في الورقة التي اعطاني اياها الحاج "حاتم"...ماهذا المصطبح؟ لم اسمع به من قبل..

بدأت يومي مبكراً للغاية, لأنتهي بأسرع وقت ممكن, فوصلت إلي العنوان المكتوب, لأجده مقهي بائساً بأطراف إحدي المناطق العشوائية , بجانبه انبعث من سماعات ضخمة اصوات مزعجة لأغاني المهرجانات, بينما استقر رواد المقهي في هدوء علي مقاعدهم, وقد امسك كل منهم بفوهات الشيشة ليسحبوا منها انفاساً ذات روائح عجيبة...

تقدمت نحو هذا الوكر, فسألت صاحب المقهي الجالس بكل اعتزاز علي كرسيه الخاص بالواجهة, كملك متوج علي عرشه:

"سلام عليكم يا حاج...مش دي قهوة (صباح الفل)؟ "

اجاب المعلم بصوت ناعس و رائحة المعسل تنبع من فمه أثناء امساكه لعصا الشيشة:

" صباح الخير.."

صححت له:

"لأ انا مقصدش اصبح عليك...قصدي يعني اكيد صباح الخير وكل حاجة, بس انا بسألك..مش دي قهوة (صباح الفل)؟"

رد المعلم بنفاد صبر:

"ما قلتلك صباح الخيييييير...القهوة اسمها صباح الخير...انتا مسطول ولا ايه ؟ "

نظرت بإندهاش نحوه, ونحو سائر الجالسين كأنهم كائنات زومبي لا عقل لها, ثم اجبته مبتسماً:

"حصل خير يا معلم, يبقي اللى اداني العنوان كتب الاسم غلط"

لاعناً في سري الحاج "حاتم", ثم سألته بصوت هامس:

" ملاقيش عندك بأه البطل الخارق (المصطبح) ؟ "

مط المعلم شفته قائلاً:
" جيت متأخر يا استاذ...لسه البوليس كابس ع المكان من يادوب نص ساعة..الراجل راح ف الباي باي"

لعنت سوء حظي, هاهو اول بطل يفلت من قبضتي, ولكني اردت استغلال الموقف, فسألته مرة أخري:

"طب مادام شكلك عارفه كويس, ماتحكيلي عنه كده..إيه قوته الخارقة؟ "

اجاب المعلم بين انفاس المعسل الرهيبة:

"المصطبح دا بطل الحتة هنا, ومبيعرفش ينزل اي مهمة إلا بعد ما يشد سجارتين يعمل بيهم دماغ, بعدها عد الجثث يا استاذ.."

تمتمت قائلاً:

"ماشاء الله...و علي كده دماغه نظامها ايه بأه ؟ "

اجاب بسرعة:

"حشيش يا بيه...من افخر الانواع, كنت بجيبهوله بنفسي, و حصل ف مرة أن سوجارة منهم وقعت ف مياة مجاري, و بعد ما شربها, لقيناه فجأة اتحول و بقي يطير و يعمل حاجات غريبة...بصراحة, يا بخته, انا نفسي ف سوجارة زي دي تعمل لي دماغ عصافير...مسم..."

لم ارغب في معرفة المزيد, فشكرته مبتعداً عن ذلك المكان المشبوه بأقصي سرعة...و تباً لك يا حاج "حاتم", أترسلني لبطل اكتسب قوته من تفاعل الحشيش مع مياه المجاري؟

****

المحطة الثانية: زيارة إلي البطل الخارق "رجل المنطق"

رجل المنطق, اسم يدل علي شخصية رزينة, اتمني ان تصح اختيارات الحاج "حاتم" في تلك المرة..

ابتعدت عن المقهي, و وقفت لدقائق ناظراً للعنوان المكتوب علي الورقة, فوجدته بعيداً عني بمسافة كبيرة.. بحثت حولي فلم اجد اي سبيل لوجود مواصلات قادرة علي إيصالي, فاخرجت هاتفي, لأبحث ببرنامج "اوبر" عن اي وسيلة نقل متوفرة بالقرب من ذلك المكان المهجور..

لا يوجد سائقين متوفرين حالياً...

ولكن يوجد سائق واحد بالدراجة النارية...حسناً, سأجرب "اوبر بايك"..

هاهو...فتي شاب يدعي "روبي الريس"..فتي يدعي "روبي" ؟ يبدو أن اليوم سيستمر في كونه يوماً عجيباً بالفعل..

انتظرت عشرة دقائق, وصل بعدها لموقعي بدراجته النارية السوداء, وقد ارتدي جاكيت من الجلد المزين بالمسامير و الدبابيس..

خلع خوذته المرسوم عليها جمجمة مشتعلة, ونظر نحوي مبتسماً :

"اهلاً بيك يا فندم...(روبي الريس) تحت امرك"

تمتمت في سري: "روبي ؟! دا الموضوع بجد بأه "

سأل مستنكراً: " في حاجة يا استاذ ؟ "

اسرعت بالابتسام قائلاً: " لا يا كبير مفيش حاجة, ياللا بينا ع العنوان "

اوصلني الفتي بالفعل إلي وجهتي دون اي مشاكل, يبدو أني قد ظلمته بسوء ظني تجاهه..

بعد ان ترجلت عن الدراجة النارية, وصلت إلي العنوان الصحيح...مركز أرسطو التعليمي !

دخلت للمبني المكون من دورين, لأجد امامي فتاة الاستقبال خلف مكتبها الصغير..

"مساء الخير يا فندم..حضرتك جاي تحجز درس إيه ؟"

تنحنحت قائلاً:

"لأ انا مش طالب ثانوي, انا جاي اقابل الاستاذ ممدوح أرسطو"

اجابتني بلهجة آلية:

"الاستاذ ممدوح حالياً لسه بادئ درس مع الطلبة, اتفضل انتظر لما ينتهي.."

جلست علي احدي مقاعد صالة الاستقبال, ناظراً لساعة الحائط في ملل..مرت ساعة..اثنتان...ثلاثة...

ليخرج بعدها فوج من الطلبة بهيئة تثير الشفقة, فمن الانسان الطبيعي القادر علي احتمال ثلاث ساعات كاملة من شرح المنطق والفلسفة دون راحة ؟!

طبعاً بخلاف "ممدوح أرسطو", والذي لا يعلم احد سواي بكونه "رجل المنطق" !

****

اتجهت بثقة نحو غرفة الدرس, لأجد امامي "ممدوح ارسطو"..

رجل في منتصف الثلاثينيات من عمره, يبدو عليه الوقار فعلاً, فاقتربت منه قائلاً في خفوت:

"جايلك من طرف الحاج (حاتم) بتاع دار النشر....انا عارف انك رجل المنطق ! "

نظر نحوي متفحصاً, ثم همس :

" تعالا ورايا لمكتبي الخاص.."

تتبعته في ترقب, بينما يتجه بي إلي غرفة مكتبه, والذي احكم اغلاق بابها خلفنا بحرص..

نظر نحوي مرة أخري, قائلاً في جدية:

"اقدر اساعد حضرتك ازاي؟ وياريت بسرعة عشان عندي معاد للحصة التانية من الدروس "

اجبته بحماس:

"مش هاخد من وقتك كتير..."

وبعد ان شرحت له باختصار ما ارغب في الوصول إليه, عاد بجسده إلي الوراء ليجلس في مقعده الوثير بكل راحة, ناظراً نحو مكتبته الضخمة المكتظة بالكتب التي احاطت بنا في الجدران الثلاثة, قائلاً في تأمل:

"فكرتني بذكريات جميلة يا استاذ هلال...بص, انا كنت مجرد مراهق عادي, لغاية ما حضرت اول درس في مادة الفلسفة و علم المنطق...ساعتها كنت ماسك كتاب خارجي قديم لمادة الفلسفة اشتريته من بياعين الكتب المستعملة, وحسيت وقتها بحرارة عجيبة بتمشي في ايدي, لغاية ما وصلت دماغي ! "

قام "ممدوح" من مجلسه, ليذرع الغرفة ذهاباً و إياباً قائلاً بلهجة مسرحية:

"الكتاب كان فيه سر قوتي الخارقة, قوة قديمة مستخبية من ايام الفيلسوف أرسطو نفسه !

و القوة دي اختارتني انا بالذات, عشان ابقي (رجل المنطق) "

اردت ان اصفق له اعجاباً بأدائه, ولكنه استكمل بدون انقطاع :

"في البدايات استغللت قدرتي في اطماع شخصية..كنت اقدر اقنع اي حد قدامي بطريقة منطقية خلال ثواني, قدرت اقنع المدرسين انهم يدوني الدرجة النهائية من غير ما اكتب ولا كلمة في الامتحان..قدرت اقنع زميلاتي في الكلية انهم ميحطونيش في الفريند زون..

لكني لقيت ان المجتمع محتاج قدراتي, فتوسعت في استخدام اقناعي, وقدرت اقنع الخليل كوميدي انه دمه تقيل, و خليته يبطل شغل ع النت و قعد ف البيت اخيراً..

و في يوم من الايام, كنت راجع البيت, فلقيت والدتي طابخة لنا "بيتزا"...قعدت تقول انها احسن من بيتزا الشارع بمراحل, لكن الحقيقة انها كانت سيئة...سيئة جداً...العجيبة ضخمة و محدش بيحط خيار و لفت مخلل ع البيتزا يا جدعاااان ! "

****

سألته متحمساً:

" قمت طبعاً اقنعتها في ثواني ان بيتزا البيت عمرها ما هتبقي زي بيتزا الشارع...صح ؟ "

صاح "ممدوح أرسطو" بحزن:

"لأأأأأأأه...فشلت...فشلت...لأول مرة تفشل قدراتي قدام حد, و فضلت تعمل لنا بيتزا كل يوم لمدة اسبوع بالعند فينا...ساعتها اعتزلت للأبد من البطولة الخارقة, و بقيت مجرد الأستاذ "ممدوح أرسطو" استاذ مادة الفلسفة والمنطق.."

قمت من موضعي, و ربتت علي كتفه قائلاً:

"ولا يهمك يا استاذ ممدوح...قصتك دي قصة عظيمة مليانة عبر...مصر مش هتنسالك اللى عملته عشانها..كفاية انك قعدت الخليل كوميدي ف البيت! "

مسح "ممدوح" دموعه قائلاً بصوت هادئ:

"خلاص خلاص, انا كويس دلوقتي...اشكرك يا استاذ هلال إنك سمعت حكايتي, بس ياريت متكتبش عني حاجة.."

اجبته بسرعة: "من عينيا يا فندم, محدش هيعرف حاجة عن اللى حصل دا"

ابتسم قائلاً:

"واضح ان قدراتي اشتغلت عليك...هاهاهاهاها"

ثم اصطحبني لخارج المبني, وقبل ان يودعني, نصحني:

"بس لو انتا عاوز ابطال خارقين بجد...اطلع علي طريق الاسكندرية الصحراوي, و هيوصلك لمدينة جوثام...هتلاقي فيها اغلب الابطال, ويمكن يبقي حظك حلو و تقابل الكبير بتاعهم.."

سألته باهتمام: "انهي كبير فيهم ؟ "

اجاب باعتزاز: "الكبير اوي....باتمان يا جدع ! "

****

(5)

قادتني الشوارع إلي احدي مقاهي منطقة وسط البلد, تمهيداً للذهاب من موقف رمسيس بإحدي الميكروباصات إلي محافظة جوثام..

علي المقهي جلست مرهقاً, ارغب في كوب من الليمون ليروي العطش, ويذهب عني التعب جراء كل تلك المشاوير المتواصلة..

احتسيت رشفة من كوب الليمون المنعش, بينما اصابعي تضغط ازرار المحمول لإبلاغ أمي بسفري المفاجئ, بينما ارتفع صياح احدي الفتيات خلفي, فاستدرت لأري ما يحدث..

ترتدي تيشرت احمر فاقع اللون, و بنطالاً من الجينز الضيق, و حزام لامع ملفت للنظر, مع العديد من الاساور في كلا ذراعيها...نظرت نحو وجهها الجميل وشعرها الاسود المنسدل الذي تزين بقطعة قماشية صفراء اللون ارتدتها لربطه للخلف..

ادركت هويتها من اول نظرة, فكثيرا ما أري منشوراتها علي موقع الفيسبوك...إنها "دينا البرنس" الناشطة النسوية المختصة بحقوق المرأة, و العضوة المشاركة بأغلب الفعاليات الخاصة بالتوعية بتلك الحقوق...

اجابت أمي علي المكالمة لتلغي اهتمامي بمتابعة صياح تلك الناشطة التي التف حولها الشابات و الشباب بشكل دائري حول مائدتها الصغيرة, كتلك الصورة التقليدية لتنظيم الضباط الاحرار تمهيداً لقيامهم بالانقلاب علي الحكم الملكي..

****

في موقف رمسيس, وجدت من ينادي بحماس عجيب:

"اسكندرياااااااااع...واااحد...واااحد اسكندرياااااع "

ادركت مسبقاً صعوبة إيجاد مواصلة مباشرة لمحافظة جوثام, فقررت ان استقل احدي سيارات الاسكندرية, والتي ستمر علي جوثام عبر طريق القاهرة-الاسكندرية الصحراوي..

اتجهت نحو المنادي مستفسراً: "جوثام يسطا ؟"

امسكني من كتفي بقوة دافعاً إياي إلي السيارة مستكملاً صياحه المزعج:

"اسكندرياااااااااع...واااحد...واااحد اسكندرياااااع "

نظرت له مستنكراً:

"واحد ازاي و العربية لسه فاضية ؟ "

ظل محدقاً لي في بلاهة, ثم استدار صائحاً:

"اسكندرياااااااااع...واااحد...واااحد اسكندرياااااع "

استندت برأسي إلي نافذة السيارة منتظراً امتلائها...ياله من يوم ملئ بحبوب الترامادول...

****

يبدو أني غفوت لفترة قصيرة, فقد استيقظت علي حركة السيارة في بداية طريقها بعد الخروج من منطقة رمسيس..

تأملت حولي ركاب السيارة..مزيج من الرجال و السيدات, شباب و مسنين, و امرأة بطفلها الرضيع, حسناً, فلنستعد جميعاً لفترات طويلة من الصراخ والبكاء المزعج كعادة أغلب الرضع..

نظرت لخلفية المقعد المقابل لي, فوجدت صورة فوتوغرافية رديئة التصوير و الألوان, لسائق السيارة ضخم الجثة و الناظر ببلاهة لعدسة الكاميرا, بينما يتكئ علي مقعد صغير, و في الخلفية تكرار لوجهه بإستخدام اقذر تقنيات تعديل الصور و اكثرها سوءاً علي الإطلاق, وفي جوانب الصورة و اسفلها تكرر اسم السائق و رقمه الخاص و جملة مبتذلة بالتأكيد بألوان مبهرجة و تحديد ابيض اللون...

(سيد التمساح...الأسفلت اشتكي, و القلب مات من قلة الهشتكة)

من سوء حظي أن السائق ينتمي لفئة السائقين الثرثارين, فلم يترك لحظة تمر دون ان يخبرنا بآرائه الخاصة و العامة بشأن اي شئ و كل

شئ...كل ما سوف يخطر ببالك ستجده عند الاسطي "سيد التمساح", وكذلك كل مالم يخطر ببالك..

ينظر الأسطي "سيد" باعتزاز و انبهار نحو احدي اللافتات الاعلانية بالغة الضخامة المتواجدة علي جانب الطريق, قائلاً :

" كابتن ايجبت...ربنا يحميه والله...راجل وطني بصحيح, مش زي بتوع الاعلام المطبلاتية"

نظرت نحو اللافتة مشاركاً إياه, فرأيت صورة كابتن ايجبت, بدرعه المعدني اللامع و الملون بألوان العلم المصري, و النسر الصارم مرتسماً بمنتصف الدرع بلون ذهبي شديد الوضوح..

انبعث صوت لأحد الاشخاص من الخلف منادياً السائق:

"علي جنب يسطا من فضلك.."

زفر الأسطي "سيد" حانقاً:

" احنا لسه في اول السكة يا برنس, كده هتخسرني في الحساب ! "

اعتذر الشخص قائلاً:

"والله غصب عني, جالي خبر وفاة بنت عمة خال جدتي...مضطر ارجع البيت حالاً"

اخذ الأسطي "سيد" يتمتم بصوت خافت, ثم اشاح بيده و توقف علي جانب الطريق, ليفسح المجال لنزول الراكب..

تحرك الميكروباص مرة أخري نحو جوثام, ليظهر لنا شخص بعد بعض الكيلومترات علي الطريق السريع, يقوم بالاشارة للميكروباص, فتركه الأسطي "سيد" بلا اهتمام و اكمل طريقه..

استفسر احد الركاب من السائق عن تجاهله لإشارة الرجل, فأجاب الأسطي "ٍسيد" بكل ثقة:

"لا ياعم, دا شكله من ضمن المتحولين.."

اجابه نفس الراكب:

" و عرفت منين يسطا ؟ "

استكمل الأسطي "سيد" بنفس الثقة:

" يا استاذ, المثل بيقوللك: اعرف صاحبك المتحول, و علم عليه...المتحولين بقوا ف كل مكان دلوقت..تبقي قاعد ف امان الله, تلاقي اللى قدامك طلع مطاوي من بين صوابعه, ولا يبص لك بعين حمرا يكسرلك الموبايل ف ايدك...قل اعوذ برب الفلق والله"

ثم قطع كلامه ضغطة طويلة علي آلة التنبية, معطياً لأحد السائقين سبة مذهلة شديدة التعقيد بتلك النغمات المرتجلة..

بعدها استكمل قائلاً:

" و ديك النهار واحد زميلي اتثبت ع الدايري من عصابة راس الغول..بعد ماكانوا بيسرقوا الملاكي, مبقوش يعتقوا الاجرة كمان...حسبي الله ونعم الوكيل...حسبي الله ونعم الوكيل"

حاولت ان اناقش ذلك السائق عن حقوق الأقليات, فربما كان للمتحولين وجوداً ضعيفاً بالفعل بين فئات المجتمع, لكنهم يظلون فئة محسوبة علي الجميع, ولديهم تعاملات مع كل من حولهم, وبالتأكيد مثلهم كمثل اي فئة اخري, منها الصالح و منها الطالح..

ولكن راودتني نفسي عن ذلك...هل النقاش الآن له فائدة بالفعل مع ذلك السائق؟ و الطريق طويل, وانا ارغب في النوم فعلاً...

"والنبي يسطا, صحيني لما توصل جوثام"

اجابني الأسطي "سيد": "من عيني يا باشا"

و استرسل في الحديث مع لا أحد, بينما اغمضت عيني لأقتنص تلك الساعة في عوالم الأحلام, محاولاً اغلاق أذني كي لا تسمع ثرثرة الأسطي "سيد" عن مشاكله الصحية و الإمساك المزمن و تقشف الجلد الذي يصيب ذراعيه مرة كل اسبوعين...

****

"حمدالله ع السلامة يا استاذ...احنا وصلنا كرموز خلاص "

استفقت بصعوبة من نومي, مغمغماً بصوت ناعس:

"ماشي يسطا, تسلم....إيييييييييييه ؟! "

قفزت من موضعي ناظراً حولي, لأري امامي الهيئة المميزة لشوارع الاسكندرية, و رائحة اليود في الهواء, لأصرخ في وجه السائق فزعاً:

"كرموز إيه ؟! اومال فين جوثام يسطا ؟ "

نظر الأسطي "سيد" مستنكراً, و اتبع نظرته بصوت استنكار آخر قائلاً:

" جوثام إيه؟ انا ايه اللى يوديني جوثام تاني..انا اما صدقت وصلنا اسكندرية"

اجبته غاضباً:
" يعني إيه ؟ انا قايل لك بنفسي صحيني لما توصل ناحية جوثام ! "

تلعثم الأسطي "سيد" لثوان قائلاً:

" انا سمعتها (كرموز) والله...اصل انا لما جلد دراعي بيقشف مرة كل اسبوعين, بيأثر علي ودني, فبحس ساعات إني..."

قاطعته غاضباً:

"ياعم غور بأه بدراعاتك المقشفة دي ! "

غادرت الميكروباص يملؤني الغيظ, نظرت حولي للمارة و لسيارات الاجرة بلونيها المميزين الاصفر والاسود..حسناً...الشمس تكاد تقترب من المغيب..احتاج لوجبة تسد الجوع,و بعدها سيأتي الحل..

****

(6)

"من جاء للإسكندرية, فعليه بأكلة سمك".. هكذا قال احد الحكماء..

اتبعت نصيحة لصديق قديم, اخبرني عن سلسلة مطاعم "أسماك البطريق"..اشهر مطاعم وجبات بحرية علي كورنيش إسكندرية العظيم...

وجدت نفسي امام واجهة المحل الضخمة المزينة باسم السلسلة, مع لافتات قماشية متعددة في نطاق المحل, تحمل اسم "المعلم عزت البطريق" مرشحاً لمجلس الشعب عن المنطقة, و لافتات اخري تعلن عن تأييدها للمعلم من اجل مستقبل أفضل لكل اسماك المنطقة..عفواً..لكل سكان المنطقة...

دلفت إلي المطعم الواسع, متقدماً نحو الكاشير مستفسراً عن الاسعار, وبينما يتفوه المحاسب بالأرقام التي اصابتني بالهلع, وجدت خلفه صورة شخصية بالحجم الكبير للمعلم البطريق , و بجانبها صور أخري للمعلم اثناء استقباله لمشاهير جاءوا للمطعم, منهم فنانين و منهم وزراء سابقين و رجال دولة حاليين..

تركت المطعم دون ان اذوق شيئاً, فتلك الاسعار تحتاج بطلاً خارقاً ليكون جديراً بها...نعم للمعلم البطريق من اجل مستقبل افضل لكل ابطال المنطقة..

رميت المطعم خلف ظهري, و استقبلت الكورنيش بوجهي, اتمتع برذاذ البحر المتطاير مع هواء بداية الليل المنعش..حمسني ذلك الانتعاش علي ترتيب اوراق افكاري بخصوص الرواية...تحتاج الرواية لبطل خاص من نوعه, بطل يجذب انتباه القارئ من الصفحة الأولي, ولكل بطل يأتي العدو المقابل له في كل شئ, إنه نسخته المتطابقة ولكن مع تغيير كل الصفات للنقيض, هذه هي فكرتي عن العدو المثالي!

" يا برنس ! يا برنس ! "

تلفت حولي لأنظر لمصدر الصوت, فوجدته فتي مليح الوجه, عاري الصدر, مع سروال اسود واسع, وعلي كتفه علبة زجاجية امتلأت بحلوي "الفريسكا"..

"أني الأمّور...محسوبك الأمّور...نفعني و خد فريسكا؟ "

ابتسمت له موافقاً, و اخذت منه اربع قطع, لأعطيه ثمنهم و زيادة مقبولة, فتركني سعيداً شاكراً لي علي كرمي البالغ...حسناً, الفريسكا بديل جيد لأكلة السمك المزعومة..

اكملت سيري علي الكورنيش, بينما أتاني خبر سمعته في مذياع احد الجالسين, عن إطلاق سراح "ابو الروس عوضين" من قبضة الشرطة بشكل مؤقت, مع التحفظ علي املاكه و إدراجه في قوائم المنع من السفر.. لقد اكتفيت بالأسكندرية, و الآن سأتجه لجوثام دون تضييع مزيد من الوقت..

****

ظللت مستيقظاً تلك المرة إلي أن وصلت لـ"جوثام" بالفعل..

لم اعلم كيف ابدأ ترحالي داخل "جوثام", خاصة ما اسمعه عنها دائماً, أنها محافظة واسعة يسكنها اهلها الفلاحين البسطاء, وإلي جانبهم يختبئ العديد من معتادي الاجرام و اللصوص الهاربين من العدالة..

لا يوجد لمدينة "جوثام" منقذ سوي اثنان...البطل الخارق "باتمان" حارسها في الليل المظلم, و رجل الأعمال "ابو الروس عوضين" صاحب الأراضي و الأملاك علي امتداد المحافظة, و المسئول عن ادارة محاولات عديدة لاستثمار اراضي "جوثام" ضد رفض واسع من هؤلاء المجرمين..

ولكن هاقد تم القبض علي "ابو الروس" في قضية المخدرات التي رأيتها بالتلفاز..لكي الله يا جوثام!

اهلكني الارهاق من كثرة السير, فجلست علي استراحة إحدي محطات المواصلات, في شارع عريض خال من المارة في ذلك الوقت القريب من نصف الليل..

"يا استاذ؟ "

نظرت بجانبي, لأجد رجلاً مريب الهيئة...سألته بقلق: "افندم؟"

نظر لي ببرود قائلاً:

"معاكش ولاعة ؟ "

اجبته بسرعة: " لا والله مبدخنش"

اكمل بنفس البرود:

"طب هات فلوس اجيب بيها ولاعة"

تباً...هاقد بدأت جوثام بإستقبالي بأذرعها المفرودة!

ركضت بقدراستطاعتي, وخلفي يلاحقني ذلك المجرم, بينما يزداد الشارع اتساعاً و يضيق صدري اختناقاً بلياقتي الرياضية المفقودة...سأهتم بممارسة اي نوع من الرياضة إذا نجوت من ذلك اللص..أي نوع حتي ولو لعب اوراق الكوتشينة!

اكملت ركضي, لأنظر خلفي فوجدت الشارع قد صار خالياً...وقفت فجأة فاصطدمت بجذع شجرة عريض لم انتبه إليه في البداية, ارتميت علي الأرض من أثر الصدمة, فامسكت بجبهتي متوجعاً, لأجد يد تمتد نحوي بالمساعدة..

"إنتا كويس؟ "

نظرت إليه...إنه هو....إنه "باتمان" !

****

قناع حالك السواد يخفي نصف وجهه العريض, تمتد منه عباءة تحيط بجسده الممشوق في زي رصاصي اللون, مع ادوات و اسلحة تتدلي من حزامه السميك..

"إنتا باتمان ؟ "

اجاب بنبرة واثقة:

" لأ دي تهيؤات من الخبطة...انتا مشوفتنيش"

ثم ابتعد و رفع يده بجهاز ما نحو اسطح احد البنايات, وضغط احد أزراره..

وقفت بجانبه منتظراً حدوث أي شئ...فقلت مستفسراً:

"حصل إيه ؟ "

اجابني باتمان بعصبية:

"شكلها باظت...دايماً الحبل يعملها معايا و بيتعقد جوا البكرة"

حاولت مساعدته ممسكاً بأداته الخاصة:

" طب ثواني كده اسلكها لك...انا بعرف افك العقد اوي"

في دقائق, انطلق الحبل حراً من داخل فوهة الأداة, ليبتسم "باتمان" نحوي قائلاً:

"اشكرك علي المساعدة...انتا حد محترم"

اسرعت خلفه قبل ان ينطلق قائلاً:

"ارجوك, انا محتاج مساعدتك ضروري..."

توقف مرة أخري متجهاً نحوي مستفسراً, فأجبته بإختصار عما أريده..ظل واقفاً للحظات, يبدو عليه أمارات التفكير العميق...ثم نظر نحوي بقوة قائلاً بصوته المميز:

"انا موافق اساعدك, بس موضوع زي دا محتاج قعدة, وانا دلوقتي ورايا شغل...نتقابل بعد شوية؟"

اجبته:

" انا مش من جوثام, ومليش مكان اقعد فيه...خليني معاك وانا اوعدك مش هعمل صوت"

شعرت كأني طفل صغير بجانب شخصيته العظيمة, و فور أن وافق علي وجودي معه,أدركت وقتها ان روايتي قد وجدت بطلها الأعظم..

****

تحسست المعدن المنيع لسيارة "باتمان" السوداء بإعتزاز شديد, لطالما رأيتها في الجرائد و سمعت عنها الأقاويل المتناثرة عن مدي قوتها و سرعتها, وها أنا قد نلت الفرصة الكبري لأتواجد بجانبها, وسأصبح داخلها بعد ثوان !

اخبرني "باتمان" بصوته العميق:

" هنحتاج نعدي علي قسم شرطة أول (جوثام), وبعدها هتيجي معايا المقر الخاص بتاعي"

هززت رأسي موافقاً, بينما ضغط "باتمان" زر تشغيل السيارة, فتتابع ظهور الشاشات الصغري أمامنا, و اشتعلت مؤخرة السيارة بلهيب ضخم, لتنطلق بنا مثل صاروخ طائر ولكن عجلاته مازالت علي أرضنا..

وصلنا لقسم الشرطة عبر الشوارع الخالية, قاطعين عشرات الكيلومترات فيما لايقل عن دقائق, وفور ان ظهر القسم امامنا, قام باتمان بتخبئة السيارة خلف مبني القسم, ثم اطلق اداته الخاصة مرة أخري, فانطلق منها الحبل الطويل ليستقر فوق حافة السطح, ليقول باتمان بهدوء:

"استناني هنا جنب العربية...عشر دقايق هخلص مع الأمين "جيمي" و جايلك"

قفز "باتمان" لسقف القسم, فلم يجد الأمين "جيمي" هناك, فقفز مرة أخري من علي السطح للأرض, ليجد "جيمي" مرتكناً بجسده المترهل علي سيارة الشرطة الخاصة بكمين القسم, لم اتمكن من مقاومة الفضول, فهرولت خلفه لأشهد لقاءهم..

بدأ "باتمان"الكلام ببعض الكلمات التي لم اسمعها, لكن "جيمي" لم يجيبه..

علا صوت "باتمان" صائحاً بحدة:

"جيمي ي ي ي ي ي ي ي ".

لم يجب "جيمي" علي الصياح..فاقترب منه "باتمان" مربتاً علي كتفه, ففزع "جيمي" صارخاً , ثم امسك بقلبه فوق جسده البدين, و نزع بيده الأخري سماعة الأذن قائلاً:

"معلش..اصل الاغنية كان صوتها عالي شوية فمكنتش سامعك.."

ليأتي من السماعة صوت يشوبه التشويش , دندن معه "جيمي" بصوت خافت:

"بهوايااااا..انتي قاعدة معاااايا...ممم...نااااانانانانا.."

تنحنح "باتمان", فاستعاد "جيمي" وقاره مشيراً نحوي قائلاً:

"دا مساعدك الجديد؟ "

نظر "باتمان" نحوي قائلاً بسرعة: "لا طبعاً"

شعرت بالإحراج, ليكمل بعدها "باتمان" قائلاً:

" الجوكر بيقول : إذا أردت لشئ أن يتم بشكل صحيح, فافعله بنفسك"

نظر "جيمي" إلي "باتمان" متعجباً, ليجيبه:

" بس الجوكر مقالش كده يا بات ! "

رد باتمان بصوته العميق:

" لأ, قالها.."

اجابه "جيمي":

" و المسيح الحي مقالش...وغلاوة بربارا بنتي , الجوكر مقالهاش"

رد باتمان بحسم:

" لأ, قالها...انا شوفته قايلها في صورة ع الفيسبوك, حتي بالأمارة كان هيث ليدجر "

سادت فترة صمت بيننا, و ظل باتمان واقفاً ناظراً نحونا بإنتصار..

هز "جيمي" يده بمعني "مفيش فايدة", ثم اخرج بعض الأوراق لباتمان قائلاً:

"محتاج مساعدتك بخصوص واد ثورجي اسمه (مروان باندينا), عايش جو اناركية و ميدان و كده.."

امسك "باتمان" بالأوراق, قائلاً في حسم:

"هشوف الكلام دا بنفسي.."

تركنا القسم و الأمين "جيمي" متجهين نحو السيارة المختبئة خلف القسم, حينها التفت باتمان نحوي قائلا:

"هطلب منك طلب...غمض عينك واحنا ف العربية"

شعرت بالقلق, فنظرت لباتمان قائلاً:

"باتمان...مافيناش من قلة أدب ! "

نظر "باتمان" نحوي قائلاً بعصبية:

"انتا عبيط يابني؟ ...انا محتاجك تغمض عينيك عشان متعرفش مكان مقري السري."

اندهشت من طلبه, فاستكمل باتمان قائلاً:

"نسيت اجيب قماشة اغطيلك بيها عينيك...ولو قطعت حتة من العباية, عم فريد هيعلقني منها ف النجفة"

سألته بفضول:

"عم فريد مين ؟ "

اجابني بخجل:

"دا مدير المنزل بتاعي, مبحبش اقول عليه خدام, لأن الراجل دا مربيني علي إيديه...استنا استنا, مكانش المفروض تعرف التفاصيل دي.."

ثم اخذ يتمتم غاضباً ضارباً الارض بقدمه..

اتجه نحو السيارة صائحاً:

"و خد بالك..عم فريد سبعين سنة, بس ماشاء الله عصب, فمتحاولش تنرفزه واحنا هناك.."

وفور ان استقر كل منا بموضعه داخل السيارة, همس باتمان بجملته الاخيرة:

"غمض بأه عشان يادوب ألحق أفول البنزين في العربية و نطلع بعدها ع المقر السري.."

****

(7)

بصعوبة منعت فضولي من فتح عيوني طوال الرحلة, والتي لم تستمر لفترة طويلة علي العموم...وصلنا إلي المقر السري لباتمان, فأمرني بعدها بأنه يمكنني النظر متي شئت..

نظرت..

و رأيتني في قاعة واسعة, تحيط بها جدران صخرية كأنها قد أُنشئت في قلب كهف جبلي قديم, فسألته:

" هو دا المقر السري بتاعك؟ "

اومأ برأسه ناظراً بجانبي نحو محتويات كهف الوطواط, لتواجهني مائدة مستديرة, يبعد عنها ببعض امتار مقعداً وثيراً امام عشرات الأزرار و اللوحات, وفوقهم تصطف عدة شاشات عملاقة تحتل حائطاً بأكمله, ثم جوانب الكهف المليئة بنسخ من سياراته الخاصة, و صناديق زجاجية تنتصب فيها بذلاته السرية, و ترتص بجانبها اسلحته المتعددة مابين قاذفات أشياء أو سكاكين علي هيئة شعار الوطواط, إلي جانب أدوات أخري اختلفت في اشكالها, وإن يبدو أنها لا تنتمي لباتمان علي الإطلاق...لعلها اسلحة تخص اعدائه, يحتفظ بها علي سبيل التذكار ؟

نظرت خلفي فوجدت تمثالاً لديناصور هائل يشبه الديناصور الشهير بفيلم ديزني "قصة لعبة" , فأشرت نحوه مستفهماً:

"مش دا ريكس الديناصور؟ "

نظر باتمان نحوي بحرج:

"احم...ذكريات طفولة و كده"

ابتسمت بينما ارتفع صوت باتمان بالصياح :

" ياعم فاااااااااريييييييييد...اعملي النسكافية ف الماج بتاعي حالاً "

سألته مستنكراً:

" باتمان بيشرب نسكافية ؟ "

اجابني بسخرية:

"اومال عاوزني اشرب دم خفافيش ؟ و بعدين مين مبيشربش نسكافية دلوقتي؟"

ضحكت قائلاً:

" لو كده يبقي خليه يعمل لي معاك...3 معالق سكر ياريت"

اقتادني باتمان نحو مائدة مستديرة في قلب الكهف, بينما جاء إلينا عم فريد...هيئة رجل في السبعين من عمره بالفعل , لكن يبدو علي وجه امارات الحيوية مثل حسين فهمي, وإن كانت وسامته لا تشبه حسين فهمي من قريب او بعيد..بل هو اقرب إلي زكي رستم بشاربه المنمق و صلعته اللامعة, ونظرة عينه الصارمة...يبدو عليه كما وصفه باتمان سابقاً... سبعين سنة, بس ماشاء الله عصب...

همس عم فريد بصوت وقور:

"مين دا ؟"

اجابه باتمان علي الفور:

"دا هلال يا عم فريد...ضيفنا الليلة دي..اتنين نسكافية بأه من ايدك الحلوة"

استدار عم فريد عائداً إلي موضع بعيد في احد اركان الكهف, حيث تقبع اداة عمل المشروبات الساخنة و دستة من الاكواب الخزفية, بينما تناهي إلي اسماعنا همهمات مختلطة ببعض السباب عن باتمان الذي يأتي بأشخاص غريبة للكهف بشكل دائم..

حاول باتمان أن يغير دفة الحوار نحو موضوع آخر, فأشار لي بالجلوس علي احد مقاعد المائدة, بينما سحب مقعداً آخر جلس عليه بأريحيه قائلاً:

"هاه...اقدر اساعدك ازاي في موضوع روايتك ؟ "

اجبته متحمساً:

" ببساطة عاوزك تحكيلي عن نفسك...ازاي بقيت بطل خارق, و ازاي بتقدر تواجه اعدائك في عملياتك السرية, و احكيلي عن اعدائك عشان اقدر استفاد بكل دا في صياغة احداث روايتي"

ابتسم باتمان و فرد ظهره لكي يبدأ في الحديث, ليقاطعنا صراخ آت من موضع تواجد عم فريد..

"عاااااااااااااااااااااااااااااااااااااا"

فوجئنا بما حدث, فالتفت كل منا نحو مصدر الصوت, لنجد عم فريد يهلل بقوة امام احدي شاشات الكهف العملاقة, فسأله باتمان بعصبية :

"إيه يا عم فريد...مش شايفني بشتغل يا حاج ؟ "

اعتذر عم فريد في خفوت:

"آسف ياريس...اصل انا مبقدرش امسك نفسي من الفرحة كل لما صلاح يجيب جون..دا عشق يا ريس...عشششششق...انا ستي كانت مولودة في ليفربول, اصلها كانت انجليزية, و قابلت جدي ايام الملك لما جت مصر, وجدي بأه كان عسكري مصري بس طول بعرض, و اول ما..."

قاطعه باتمان بنفاد صبر:

"خلاص يا عم فريد مش وقت ذكريات دلوقتي...ورايا شغل مع الراجل, سيب الكهف و اطلع فوق ف الفيلا كمل الماتش براحتك علي شاشة الصالون..

اجابه عم فريد بهدوء:

"لأ مش مشكلة, دا ماتش متعاد اساساً.."

ثم ادار لنا ظهره مكملاً اعداد النسكافيه, بينما اغمض باتمان عينه مطرقاً رأسه في أسي, ثم سحب نفساً عميقاً زفره بقوه, ليستكمل كلامه معي..

****

"بص يا استاذ هلال...انك تكون بطل خارق دي مش وظيفة سهلة, وهي مش وظيفة اصلاً, مع اني عشان ابدأ كان لازم اسجل بياناتي في مكتب

الابطال الخارقين و استمارة و دمغة و خمس ادوار طالع و نازل عشان الورق يخلص...بس مش مهم, الواحد برضو يبقي ماشي في السليم عشان يخدم الناس بنفس.."

بدأت في تدوين ملاحظاتي و كتابة النقاط الهامة من حديثه, بينما استرسل باتمان في الكلام..

"زي ماقلت, انك تكون بطل خارق دي مش وظيفة اصلاً...دا واجب بيتفرض عليك مادام عندك القدرة... وانا الحمدلله الظروف عملت مني بطل خارق, اينعم هي ظروف مهببة و كانت كارثة بوظت لي حياتي وانا صغير, بس قدرت اتخطاها, وقررت اني احقق العدالة في محافظة جوثام, و اخليها محافظة نضيفة زي بقية المحافظات, و الناس تبطل تقول عليها مكان مشبوه و مليان مجرمين و قطاع طرق.."

تنحنحت قائلاً:

"بس لامؤاخذة, لغاية دلوقتي جوثام مازالت مكان مشبوه و مليان مجرمين و قطاع طرق, يبقي ايه الفرق اللى انتا عملته هنا ؟ "

اجابني بحرج:

" الموضوع مطلعش بالسهولة اللى انا كنت فاكرها, بس والله بنحت ف الصخر بإيدي و سناني عشان اظبط الدنيا في جوثام"

سألته بإهتمام:

"طب احكيلي في بداية شغلك, عملت بدلتك ازاي و هل عرفت تواجه الصعوبات في اول مهماتك ؟"

ابتسم باتمان اثناء استرجاعه لذكرياته قائلاً:

" يااااااه..فكرتني بأيام جميلة والله يا استاذ هلال...انا طول عمري بخاف من الخفافيش, و كان جنب بيتنا خرابة مليانة زبالة و كراكيب, كانت الخفافيش تسكن فيها و تعمل بيوتها و انا اخاف اعدي من ناحيتها مهما حصل...و ف مرة كنت بلعب كورة في الشارع, و واد من العيال شاط الكورة جامد, فراحت ع الخرابة, و كان لازم انا اللى اجيبها عشان اللعب يستمر.."

وقف باتمان متأهباً ليستكمل سرد قصته مع بعض الاداء الحركي..

"رحت الخرابة, وانا بدور ع الكورة, لقيتها وسط كراكيب بعيدة جوا قلب الخرابة..فضلت ماشي وانا بسمع صوت اجنحتهم بس مش شايف حاجة ف الضلمة, لغاية اما لقيت الكورة, و اول ما مسكتها..."

انتفض جسده بينما انا اسأله متشوقاً:

"الخفافيش هجمت عليك ؟!"

اجابني :

" لأ خالص, اول ما مسكتها سمعت العيال بيزعقوا لي عشان اتأخرت عليهم, ف اخدت الكورة و رجعت لهم عادي.."

سألته بنفاد صبر:

" اومال ايه اللى حصل لك بخصوص الخفافيش عشان تختار تبقي باتمان ؟"

اجابني ببساطة:

"لأ انا حسيتها حاجة شيك, ومحدش خدها قبلي ف الابطال الخارقين, فقلت اجرب حظي, وواضح ان فيه مجرمين كتير كانوا بيخافوا من الخفافيش, ف ربنا وفقني و عرفت استغل النقطة دي ضدهم"

****

سألته مرة أخري:

" طب و محكيتليش عن بدلتك...عملتها فين وازاي؟"

اجابني:

" اول بدلة لبستها كانت من التوحيد و النور...اشتريت ترينج اديداس رصاصي بخطوط سودا, بس كان فخم اوي, و عم فريد ربنا يباركله ظبطلي ماسك و جوانتي و عباية لزوم الحركات..بس بعدها لقيت خياط نضيف بقيت بشتغل معاه, وعم فريد بيتكفل بباقي الحاجات بيعملها بنفسه...ايده تتلف ف حرير والله"

شعرت بإحباط يتعاظم بداخلي, ولكن أتي "عم فريد" بالنسكافيه اخيراً, فتركه امامنا بكل هدوء, وتركنا نحتسيه بإستمتاع..

"طب أول مهمة ليك ؟ "

اجاب باتمان بسرعة:

"اول مهمة ليا محصلتش.."

ابتسمت في ثقة:

"للدرجة دي كانت جميلة؟ "

اجاب باتمان بنفس السرعة:

"لأ هي محصلتش فعلاً...كنت مخطط يومها اجرب البدلة لأول مرة و عملت كل الاستعدادات, بس جيت اخرج من البيت لقيت فيه عمال شغالين ف عمارة جنبنا, واضطريت أأجل شغل البطل الخارق دا لمدة اربع شهور عقبال ما خلصوا شغل, عشان محدش منهم يلمحني وانا خارج او داخل من البيت بالعربية و البدلة"

سألته بإندهاش:

"بس انتا كان ممكن تعمل نفق تحت الارض مثلاً ؟"

اجاب باتمان بحرج:

"احم...مانا جاتلي الفكرة دي فعلاً, بس متأخر شوية..يادوبك اربع شهور...بس من بعدها بدأت بأه, واستمرت مهماتي و مغامراتي ضد اشرار جوثام و مجرمينها"

ساد الصمت لثواني بعد كلمات باتمان, ليحتسي كل منا من كوب النسكافيه الخاص به, بينما لاحظت صورة فوتوغرافية معلقة علي احد جدران الكهف, يقف فيها "ابو الروس عوضين" مع "ابو هشيمة" في احد الاماكن الراقية, فدارت الأفكار في عقلي, و لاحظ باتمان تحديقي إلي تلك الصورة بالذات, فهرع من موضعه ليحمل الصورة و يخفيها في احد الادراج الجانبية..

سألته فجأة:

"انتا تعرف ابو الروس عوضين و ابو هشيمة ؟ "

تلعثم باتمان, ثم اجاب بصوت مرتعش:

"لأ..لأ خالص, دانا كنت لقيتها عند بتاع الروبابيكيا, ف قلت شكلها حلو خليها عندي...يمكن سعرها يغلا بعدين و تنفعني"

اجبته بثقة:

"مانا قلت كده برضو, انا لو خيالي واسع شوية كنت قلت انك ابو هشيمة, وهويتك السرية هي باتمان...ماهو مش معقولة يعني تكون شخصيتك الحقيقية هي ابو الروس عوضين"

صاح باتمان غاضباً:

"و ماله يعني ابو الروس عوضين ؟ "

" إيه ؟ "

" إيه ؟ "

ساد صمت آخر, فاكتفي كل منا بإحتساء النسكافية, و سألته بعدها:

" طب مش هتشوف حوار (باندیتا) دا ؟ "

هز باتمان كتفيه بمعني عدم الاهتمام, قائلاً:

"لأ فاكس, زمانه اتشد ع القسم خلاص...اومال انتا فاكر إيه؟ احنا هنهزر ؟ "

اجبته بثقة:

"تحيا مصر والله.."

سارع باتمان قائلاً:

"بقولك ايه, انا زهقت, ماتيجي نخرج من الكهف عشان الجو هنا ضلمة أوي ؟ "

****

(8)

علي ضفاف النيل, والجو شديد البرودة في تلك الساعات الأخيرة من الليل..

"مش كنا فضلنا متدفيين ف الكهف السري بدل التلج اللى احنا فيه دا ؟ دا لسه فاضل نص ساعة ع الشروق "

اجابني باتمان بهدوء أثناء تأمله لمياة النيل الجارية :

"انا مش حاسس بأي برد خالص, الجو حر اساساً..و بعدين أ.."

بتر كلامه فجأة, ثم نظر نحوي معتذراً:

"اسف, نسيت ان البدلة فيها نظام تدفئة...ياعيني يابني تلاقيك سقعان فعلاً ! "

ضحكت لرد فعله, محاولاً ان استغل الضحكة لتبعث بعض الدفء لجسدي..

"ولا يهمك يا بات...كلها نص ساعة و الشمس تبدأ تظهر"

هز باتمان كتفيه قائلاً:

" كان فيه جنبنا نادي نقابة المسافرين عبر الزمن, انا معايا كارنيه واحد صاحبي بدخل بيه هناك, بس تلاقيهم قافلين دلوقتي..و الفيو هناك نفس الفيو هنا...نيل جميل..مسم"

استمر تأمله الصامت لدقائق, فتنتحت قائلاً:

"باتمان ؟ احنا جايين هنا نتأمل ف النيل ؟ "

نظر لي مسرعاً قائلاً بتعجل:

"اه..صحيح..نسيت, معلش معلش, احنا كنا وقفنا لحد فين ف الحكي ؟ "

اجبته:

" حكيتلي عن بداياتك في العمل البطولي, و كنت هتحكيلي عن اعدائك الاشرار"

اشار باتمان بسبابته نحوي قائلاً:

"مظبوط...مممممم..الاعداء..."

ثم مدد ساقيه علي ضفة النيل, محاولاً ان يغمر قدمه في مياه النيل الباردة قائلاً:

"الاعداء سبب رئيسي في صناعة البطل الخارق...من غير اعداء, مش هتعرف انتا ماشي صح ولا غلط...و فيه حكيم قديم قال أن القوي العظيمة, بتيجي معاها مسئوليات عظيمة ! "

صمت قليلاً بعدها, فتنحنحت مرة أخري, ليعود مكملاً:

"معلش, اصل الجملة عميقة اوي, فحبيت اتأمل فيها شوية..اعذرني"

ثم اردف:

"اعدائي بلا فخر يعتبروا من اكبر الاشرار في محافظة جوثام, و في مصر كلها...ابطال كتيرة بيحسدوني علي قائمة اعدائي, و احياناً بيتمنوا لو يواجهوهم في مهمات او يحولوا النشاط و يروحوا لمحافظاتهم... عندك مثلاً دكتور "ابو الفتافيت" في اسوان, زهق خلاص من المومياوات الفرعونية و من السحرة النوبيين, و من التوابيت و لعنة الفراعنة و نفسه يجرب شوية من مجرمين جوثام,لكن المشوار بعيد اوي بصراحة عليهم, فشكله هيفضل كده لوحده ف اسوان وسط المعابد لغاية اما يزهق.."

اكملت تدويني لكل تلك المعلومات في اوراقي الخاصة بصعوبة علي قدر ضئيل من ضوء القمر, فاتجه نحوي باتمان بكشاف صغير اضاءه في وجهي, ليشع النور حولنا مضيئاً المكان..

"الله ينور يسطا"

اجابني باتمان :

"حبيبي يا حج هلال"

ثم استكمل:

" هحكيلك بأه عن اهم اعدائي..."

****

"خد عندك, ابو خد مسلوخ, دا كان راجل محامي قد الدنيا, وبعدين حصل ف مرة انه حكم بإعدام علي تاجر مخدرات كبير...بعد جلسة النطق بالحكم, خرج برة المحكمة لقي اخو التاجر قدامه و معاه عشر رجالة من فيصل... الخناقة خلصت بإزازة مياة نار حرقتله نص وشه...مسم..."

اقشعر بدني للوصف, فاستمر باتمان قائلاً:

"طبعاً مهنته كمحامي انتهت, لكنه قدر يستغل مشكلته افضل استغلال, كان بيسرح في الشوارع و الميادين بمناديل, وولاد الحلال بيعطفوا عليه باللي فيه النصيب..و بعدها غير النشاط و بقي حاوي في الشارع يقف ناحية مدارس اعدادي و ثانوي بيلعب ال3 ورقات و ملك و كتابة علي فلوس..لغاية اما وصل لجوثام و طور من نفسه و بقي نصاب و مجرم كبير, ساعتها كان لازم اوقفه عند حده"

سألته مستفسراً:

"و قدرت توقفه عند حده فعلاً ؟ "

اجاب باتمان بحرج:

"بحاول اهو.."

نظرت نحو الأوراق بخيبة أمل, بعدها قلت:

" طب ماعلينا...كمل...مين كمان عندك في قائمة اعدائك؟"

فكر باتمان لثوان, ثم قال بعدها:

" آه...اسطي فريزر, هو اسمه الحقيقي "فريد", بس كان شغال فني تبريد و لحام, و جت فترة كانت حالته كرب, و مراته عيانه و صرف عليها كل فلوسه, فاضطر يبيع ضميره, و بقي يبوظ التلاجات بتاعت الزباين عنده عشان يضطروا يطلبوه تاني بعدها بوقت قصير..ف مرة جبته البيت عندي, و بوظلي التلاجة وهو بيصلحها...ساعتها اضطريت ارمي اتنين كيلو بوفتيك كانوا ف الفريزر.."

قطع باتمان كلامه بسيل من الدموع انهمرت منه, فنظرت نحوه مستفهماً:

"طب بتعيط ليه دلوقتي يا بات ؟ "

اجابني وسط بكائه بصوت متهدج:

"اصلي بحب البوفتيك اوي, و افتكرت الموضوع زعلت.."

نشج باتمان و مسح دموعه و افرازات انفه المخاطية في منديل اسود اخرجه من حزام ادواته, ثم اكمل:

"خلاص انا تمام..خلاص...المهم, بقي اسطي فريزر يتعمد انه يبوظ حاجة تانية في التلاجة اللى جاي يصلحها, و عمل كده في اغلب تلاجات جوثام, لغاية ما بقي عنده ثروة صغيرة من الحوار دا.."

ثم نظر لي بغضب, مكوراً قبضته بشدة, ليردف:

"لكن انا واجهته في الاخر...مش هنسي ابداً البوفتيك اللى باظ ! "

سألته بإهتمام:

"طب وعرفت تهزمه في المواجهة ؟ "

اجاب باتمان متلعثماً:

"احم...هو مش هزيمة اوي, بس بحاول اهو, و ههزمه المرة الجاية"

اطرقت رأسي للحظات, ثم استجمعت نفسي مكملاً:

"ماشي ماشي...اللي بعده يا بات"

تمتم باتمان قائلاً:

"كده هتخليني اوصل لأخطر عدو واجهته لغاية دلوقتي.. خضر الهجام "

****

تركت أوراقي للحظات مستشعراً وجود قصة قد تستحق الاهتمام فعلاً, فنظرت له بإهتمام, مشجعاً إياه علي إكمال حديثه:

"خضر الهجام دا كان حرامي غسيل, طول بعرض, مفيهوش عيب غير عصبيته و نرفزته الزيادة, و انه كان يصحي الصبح يستحما, يخرج من الحمام و راسه مبلولة, و يقعد قدام التليفزيون و المروحة شغالة, و يقوم عامل طبق اندومي...تخيل يومياً دا كان نفس الروتين اللى بيعمله, قبل ما

ييجي الليل و يبدأ سرقة الشقق...مع استمرار تعرضه للإشعاع اللي طالع من التليفزيون, اتحول لوحش مفترس ! "

اتسعت عيناي من عدم التصديق, ولكنه اكمل مردداً:

"اقسملك بالله العظيم يا اتش, دا اللي حصل...ياكش اتسخط خفاش لو كنت كداب !

الاشعاع خطير اوي يا صاحبي..و العالم مكان خطر جداً و مليان اشعاعات, اسألني انا...انا صحابي الابطال ياما حكوا لي عن بلاوي حصلت من الزفت الاشعاع دا...هتطلع الفضاء, هتتعرض لإشعاع عاصفة كونية و تتحول لكائن عجيب...هتشتغل في معمل, التجربة هتبوظ و تتعرض لإشعاع نووي و تتحول لكائن عجيب...هتمشي في الشارع , هتخبطك عربية كيماويات مشعة و تتعمي و تبقي زي الرادار, أو تتحول لكائن عجيب...هتروح رحلة مع المدرسة, هيعضك عنكبوت مشع و تتحول لعنكبوت بشري او كائن عجيب...اما لو حاولت تبعد عن الاشعاع اصلاً و فضلت عايش عادي ف بيتك و محصلكش حاجة, عيلتك كلها تتقتل و تقرر تنتقم لهم, و يمكن تتحول لكائن عجيب برضو.."

سألته بجدية:

"اوعي تقولي بأه انك معرفتش توقف خضر الهجام عند حده ؟ "

اجاب بثقة:

" لأ اكيد متقولش كده...مش معقولة يعني"

همست بالشكر لله و الحمد له, فعاجلني باتمان قائلاً:

"انا لسه مقابلتهوش اصلاً, بس بحاول ادور علي مكانه"

امسكت بالأوراق و الاقلام, و رميتها بكل قوتي في النيل...

"إيه ياجدع ؟ يخرب بيت اللي يزعلك, مالك ؟ "

تمتمت في غيظ ببعض السباب الذي لم يتبينه باتمان, فأكمل مشيراً إلي السماء بهلع:

"إلحق, الشروق بدأ, يللا بينا نرجع الكهف بسرعة, الناس هتبدأ تصحي و يشوفوني.."

اعقب كلامه بالركض عائداً لسيارته, و بدأ تشغيلها قبل أن اصل إليه...قفزت داخل السيارة, فضغط باتمان بقوة علي دواسة الوقود, لتندفع السيارة كالبرق في شوارع جوثام الخالية..

علي جانب الطريق, وجدنا لافتة إعلانية ضخمة ضمن الاعلانات الاخري, و عليها صورة احدي الممثلات الشابات, بشعر فاقع اللون, و مكياج اشبه بمكياج الدمي المرعبة, لمسلسل من مسلسلات رمضان القادمة, فابتسم باتمان قائلاً:

"ياه ع الزمن..مسم"

سألته عن سبب تعجبه, فاستمر في الابتسام مردداً:

"ياه ع الزمن...تصدق بإيه؟ الممثلة دي اللى اسمها هالة كريم, انا اعرفها كويس و اعرف اصلها...دي كانت شغالة ممرضة في المستوصف اللى جنب بيتها في العمرانية, بس كانت علي علاقة في السر بدكتور النسا بتاع المستوصف,ولما اتفضحت, قررت تغير النشاط, و بقت مضيفة في كباريه من كباريهات شارع الهرم.."

استدرت نحوه و قد بدت الحكاية مشوقة, فطلبت منه اكمال حديثه..

"ف سهرة من سهرات الكبارية هناك, اتقابلت في مرة مع منتج سينمائي مش هقولك اسمه, عجبته, و دخلها الوسط الفني, و اهي بتعمل مسلسل ف رمضان...كل سنة وانتا طيب يا حج "

عدت لموضعي في مقعد السيارة, بينما تحول صوت باتمان لنبرة جادة:

"غمض عينك تاني بأه عشان قربنا من طريق الكهف السري ! "

****

(9)

"لأ استني.."

اوقف "باتمان" سيارته بغتة, ليسألني مندهشاً:

"حصل إيه ؟ "

اجبته بهدوء:

"انا خلاص اخدت اللى محتاجة ف روايتي, و انتا وراك مشاغل كتيرة في جوثام, فنزلني هنا و انا هرجع تاني للقاهرة.."

صمت باتمان للحظات, ثم نظر لي بحزن قائلاً:

"يا خسارة..انا كنت عاوز اطلب منك طلب"

اجبته بالموافقة, فأكمل:

"انا دلوقتي..احم...عندي عجز في المساعدين, و زي مانتا شايف مفيش معايا غير عم فريد..تحب تيجي تشتغل معايا, و هديك مرتب شهري كويس جداً ؟ "

اعتذرت له قائلاً:

"والله انا مركز في روايتي الجاية عشان معرض الكتاب و كده, بس هشوفلك ناس صحابي هينفعوك اوي في الحوار دا.."

ابتسم باتمان ابتسامة خافتة يشوبها خيبة الأمل, ثم ضغط زرا بجانبه ليرتفع باب السيارة بجانبي إلي اعلي, مفسحاً لي المجال للخروج منها, فتحركت بخفة ناظراً له مرة أخري, و قلت:

"متشكر جداً يا بطل...فرصة سعيدة والله يا بات"

ابتسم باتمان مرة اخري نفس الابتسامة, و أردف:

" لا إله إلا الله يا هلال.."

اجبته بسرعة:

"محمد رسول الله يا بات.."

اغلق باتمان باب سيارته, ثم اندفعت بسرعتها الصاروخية, بينما اشعة الشمس تشرق من نهاية الطريق الذي اتخذته السيارة..

برغم كآبة محافظة جوثام, وجوها البارد و شوارعها المليئة بالمطبات و الحفر و البالوعات المفتوحة, لكن شروق الشمس فيها مميز للغاية..تصطبغ السماء باللون البرتقالي الهادي وسط الغيوم, و تخرج الشمس باستحياء معلنة بدء اليوم الجديد...

مشهد شروق الشمس جميل للغاية, يعيبه فقط انني لم اتمكن من استكماله بعد تلك الضربة التي فاجئتني علي رأسي من الخلف !

****

استيقظت من تلك الاغماءة, لأشعر بألم حاد في مؤخرة رأسي...حركت يدي لألمس موضع الألم, فعجزت عن رفعها بعد أن اكتشفت القيود التي تحيط بها و تحيط بسائر نصف جسدي الاعلي..

وجدتني مقيداً بالحبال لمقعد خشبي متهالك, بينما يحيط بي ثلاثة رجال أدركت صفاتهم الاجرامية من ملامح وجوههم بسهولة شديدة, وكأنهم اوصاف تقليدية للفظ "لص" في قاموس المعاني..

تكلم كبيرهم ذو الكرش المترهل و الأسنان النخرة:

" صح النوم يا بطة...قلنا بلاش نقلق منامك مادام دي اول مرة ليك معانا"

تمتمت في غيظ:

"انتو مش هتبطلوا بأه الحركات دي...دي تاني مرة اتثبت فيها ف يوم واحد"

اجابني النحيل ذو العوينات المهشمة:

"دانتا كده حظك حلو...و عموماً اهي استفتاحة اليوم و ربنا يكرمنا ف بقية الرهاين"

اقترب مني كبيرهم, و من فمه انبعثت رائحة كريهة خرجت قبل بدء كلامه:

"انتا شكلك ابن ناس...ليك اهل يسألوا عليك او يدفعوا فيك فدية؟ ولا نبدأ من دلوقتي نطلع الاعضاء و نخلص نفسنا ؟ "

ابتلعت ريقي بصعوبة, و قبل ان اتفوه بكلمة, صاح صوت غاضب من خلفهم :

" انا اللى هخلص عليكو دلوقتي يا ولاد الـ!@#@%^*&) "

التفت رؤوسهم لمصدر السبة, ليظهر لنا باتمان اعلي كومة من الصناديق الضخمة..

" انتو حثالة المجتمع...زبالة بتسد البلاعة, وانا السباك اللى هيقضي علي خطركم ! "

ثم قفز من أعلي الكومة, و هبط امامهم كنسر مجنح يحط علي فريسته..

اقتربوا منه في تربص, ليفاجئهم باتمان قائلاً:

"استنوا..استنوا"

تردد كبيرهم و ظل واقفاً ببلاهة, ليكمل باتمان:

"النطة مكانتش مظبوطة...العباية لازم بتتفرد ع الجنبين وانا نازل, مش علي جنب واحد كده...ثواني هعيد النطة تاني"

اخرج النحيل لفظاً اعتراضياً مفاجئاً - سبقني شخصياً في اخراجه -, بينما بدأ باتمان في تسلق كومة الصناديق مرة أخري..

****

لم يمهله المجرمون الثلاثة وقتاً كافياً لتسلق الكومة, واندفعوا نحوه شاهرين اسلحتهم البيضاء, و بمجرد اقترابهم دفع باتمان بقدمه كومة الصناديق, فهوت بقوة علي المجرمين, لتنكسر جوانبها و تكشف عن محتوياتها من الاجهزة المعدنية الصلبة, ليفقد جميعهم الوعي من قوة الاصطدام...

نظر باتمان نحو الاجساد الثلاثة المنبطحة ارضاً, بينما ينفض بكفيه التراب عن بذلته السوداء, ليقول:

"مجرمين معندهمش نقطة احترام...انا غلطان اني استأذنتهم قبل ما اعيد النطة"

ثم اقترب نحوي مندهشاً:

"هلال ! ايه اللى جابك هنا ؟! "

سألته مستنكراً:

"هو انتا متعرفش اني هنا اصلاً ولا ايه ؟ "

ضحك باتمان قائلاً:

" لأ كنت عارف, بس حبيت اهزر معاك.."

اجبته بعصبية:

"طب عرفت مكاني ازاي؟ و بعدين انتا ناوي تسيبني مربوط كده ؟ "

اقترب مني باتمان لفك قيودي قائلاً:

"شكلي نسيت و حطيتلك جهاز تعقب في النسكافية.."

صرخت مندهشاً: "إيه ! "

ابتسم باتمان قائلاً: "آه, حتي بص ! "

ثم ضغط زرا في قفاز يده اليسري, فوجدت نقطة تومض بنور أحمر بمنطقة معدتي !

صرخت مسرعاً:

"طب اطفيه حالاً ! "

ضغط باتمان ضغطة اخري, فاجتاحتني موجة من الارتعاش سببت لي ضحكاً مستمراً, بينما ضغط باتمان زراً آخر صائحاً:

"آسف آسف, غلطت و دست زرار الهزاز "

انطفأ الوميض, و انتهي الضحك, فبدأت محاولاً التنفس و تدارك ما حدث لي حتي الآن..

نظرت نحو باتمان بامتنان قائلاً:

"متشكر يا بات...جمايلك مغرقاني.."

ابتسم لي مجيباً:

"خد بالك بأه...التالتة تابتة.."

ثم امسك بذراعي مساعداً إياي علي النهوض, قائلاً بحزم:

"تعالا نرجع علي الكهف تاني تفطر لك لقمة قبل ما تسافر, الوقت لسه الضهر و العربيات بتبدأ تحمل من بعد العصر.."

سألته مندهشاً:

"الضهر ! انا فضلت مخطوف اكتر من 6 ساعات ! "

اجابني باتمان محرجاً:

"انا لما لقيت الاشارة ثابتة في الاول افتكرتك نمت ف فندق ولا حاجة, لكن لما لقيت ان مكانك دا موجود في المخازن القديمة, اتأكدت ان حصل لك حاجة خطر"

تمتمت بغيظ:

"تسلم دماغك الألماظات ! "

****

وصلنا للكهف, لنجد عم فريد قد انتهي من اعداد مائدة السفرة المليئة بأطباق الفول و الطعمية و البيض المقلي , مع عدة انواع من الجبن بجانب طبق صغير من العسل الأبيض للتحليه..

انفتحت شهيتي للاكل بالفعل, لنتشارك ثلاثتنا وجبه الإفطار..

و بفم ملئ بالبيض و الطعمية, اشرت نحو الشاشة الضخمة قائلاً:

"مفيش حاجة نتفرج عليها واحنا بناكل كده ؟ معندكوش نتفليكس ؟ "

سارع باتمان قائلاً:

" لأ يا عم استغفر الله...مش ناقصين نشوف حاجات شذوذ و كفر و كده...شوف عاوز ايه من نتفلكس و احملهوولك من النت"

همست معترضاً:

"طب ماهي هي ! "

ابتلعت قطعه الطعمية قبل ان تنحشر في المرئ, ثم نظرت نحو باتمان بجدية قائلاً:

"عموماً, انا موافق علي عرضك...اعتبرني دراعك اليمين يا عم بات ! "

هلل باتمان و صاح بسعادة, بينما ربت بيده علي كتفي صائحاً:

"اهلا بيك في كهف الوطاويط...لكن انتا من دلوقتي انتا مش هلال...لازم يبقي ليك اسم يليق بمساعد بطل خارق, وتخفي بيه هويتك السرية عن الناس..مممممم"

اجبته بسرعة: "انتا باتمان فارس الظلام, وانا هبقي هلال فارس القمر...حتي اسمه بالانجليزي "موون نايت" تحسه اسم فخم كده..و اخلي اسلحتي بشكل هلال القمر, والبس ابيض ف ابيض بأه, و اعمل.."

قاطعني باتمان: بس بس بس...ابيض ايه يابني ! انتا عاوز تتكشف بسرعة ف الضلمة ؟ لأ لأ دي فكرة تعبانة اوي, وبعدين ايه دارك نايت و موون نايت, هو اي تقليد و السلام ؟

لأ انا عندي ليك اسم رائع..."

ثم اردف بفخر: " انتا من دلوقتي هتبقي..... هلال مان ! "

لم اقتنع باللقب, ولكني سألته: " طب و الماسك هيبقي عامل ازاي ؟ "

اجاب باتمان بعدم اكتراث: " اي حاجة, او حتي بلاش اي ماسكات اصلاً, كده كده محدش يعرفك أساساً "

****

(10)

عدت إلي منزلي بعد مايقرب من ثلاثين ساعة قضيتها بعيداً عنه...ثلاثون ساعة حدث فيها مالم يحدث في شهر كامل بالنسبة لي..

عدت إلي المنزل و معي ضيف خاص...فلقد اضطررت لإستضافة باتمان لفترة قصيرة, أثناء ادائنا لأولي مهامنا المشتركة..

اضاف باتمان لوجهه الحقيقي شعراً مستعاراً خالطه قليل من الشيب و شارباً كثاً, و ذقناً علي طريقة الـ"دوجلاس" و ارتدي نظارة شمس ضخمة اخفت نصف وجهه..

نظرت له متأملاً قليلاً, فسألني باتمان بقلق:

"مالك؟ بتبص لي كده ليه؟ "

اجبته شارداً:

"مش عارف...حاسس ان شكلك مش غريب عليا...بس اشطة مش فارق"

تنفس باتمان الصعداء, و انزاح عن كاهله القلق, بينما اشار نحو منزلنا قائلاً:

"هو دا بيتكم يا هلال ؟ "

هززت رأسي مؤكداً, ثم اشرت بيدي قائلاً:

"اه يا حج بات...اتفضل اتفضل, انتا نورتنا والله"

تقدمته لأفتح الباب, ثم اخبرت امي بعجلة عن وجود ضيف معي لن يستغرق بقائه اكثر من ساعة..

استقبلت أمي باتمان خير استقبال, و اقسمت عليه بأغلظ الأيمان أن يشاركنا وجبه الغداء المكونة من صينية مسقعة ضخمة مشبعة بالزيوت و اللحم المفروم, وبجانبها الأرز الناضج مغطي ببعض قطع اوراك و صدور الدجاج..

أردف باتمان بتملظ بعدما جاءت له رائحة الطعام الآتية من المطبخ:

"مادام فيه مسقعة, يبقي نقعد و نستني.."

ابتسمت أمي بفرح, ولكنها اقتربت و نظرت بإمعان نحو وجهه, لتقول بعدها:

"سبحان الله...شكلك مش غريب يا استاذ,وبعدين هتفضل لابس النضارة السودا دي جوا البيت ولا إيه ؟"

بدا علي باتمان القلق و الاضطراب, فعاجلتها قائلاً:

"إيه ياممار, الراجل عينيه واجعاه و الدكتور قال مينفعش يقلع النضارة دي إلا بعد اسبوعين...دا بيلبسها وهو نايم ! ادعي له ربنا يشفيه يا حاجة, وانا هجهز الترابيزة عشان الغدا.."

****

ببطون مليئة بالمسقعة, تحركنا سوياً نحو وجهتنا القادمة...جريدة اليوم الثامن..

تكلم باتمان بجدية أثناء سيرنا في شوارع وسط البلد:

"نشرة الاخبار قالت ان "ابو الروس عوضين" اتقبض عليه و معاه موديل اعلانات كتبوا اسمها أنه "س.ك", لكن هي اسمها الحقيقي "سرينة كامل" "

قاطعته مستفسراً:

"عرفت منين اسمها الحقيقي ؟ "

نظر لي باتمان بإستخفاف:

"انتا نسيت انا مين ولا ايه ؟"

اعتذرت له مسرعاً, فاستكمل حديثه:

"لكن (ابو الروس) مظلوم, و القبض عليه مكانش صحيح.."

عارضته قائلاً:

" ازاي مظلوم ؟ دا ممسوك مع البنت في العربية"

اجاب باتمان بغلظة:

" لأ مظلوم, و الموضوع كله متلفق من البداية "

سألته بسرعة:

"عرفت منين انه مظلوم ؟ "

تلعثم باتمان: " ملكش دعوة...دا سر المهنة...أنا عارف بقولك إيه "

اكملنا طريقنا نحو الجريدة, والتي ظهرت لافتتها العريضة, وعليها شعارهم الشهير "جريدة اليوم الثامن...اخبارنا تأتيك من المستقبل "

توجهنا نحو مكتب الاستقبال, فتقدم باتمان نحو الموظف قائلاً:

"كنت جاي للأستاذ (كمال كينت) في قسم الحوادث"

اجابه الموظف: الدور التالت اول مكتب علي ايدك اليمين..

استقل باتمان المصعد و تبعته فوراً, بينما اسأله بإهتمام:

"مين كمال كينت دا "

اجاب باتمان بهدوء:

"كمال كينت دا صحفي اعرفه من فترة طويلة, يعتبر اشهر الصحفيين في قسم الحوادث, وهو اللى كتب خبر القبض علي (ابو الروس) و (سرينة)...اكيد يعرف اي اخبار جديدة عن الموضوع دا "

تمتمت في سري قائلاً:

"يعرف اي اخبار ؟ اومال إيه (افضل محقق في العالم) اللى داوشنا بيها ف كل حتة"

****

وصلنا لمكتب الصحفي "كمال كينت", فاستقبلنا رجل فارع الطول عريض المنكبين, ذو شعر اسود فاحم و وجه وسيم, تتهدل علي جبهته خصلة صغيرة من شعره الناعم, بينما يرتدي عوينات طبية تعطيه وقاراً و هيئة العالم بأمور عديدة..

تقدم نحوه باتمان بكارت هوية ارتسم عليه شعار الوطواط, هامساً بجدية:

"جايين لك من طرف الغالي.." ثم غمز بعينه اليمني, فابتسم "كمال كينت" قائلاً:

"اكيد اكيد..اتفضلوا اهلاً وسهلاً"

اشار إلينا بالجلوس علي مقاعد المكتب الوثيرة, بينما اخرج سيجارة من علبة سجائره و اشعلها, ليبدأ في نفث دخانها في الهواء من حولنا..نظرت لأرجاء المكتب بسرعة, فرأيت من بين ادخنة السجائر المنتشرة في الغرفة صوراً له و جوائز عديدة قد نالها...

نظرت نحوه مرة أخري, لأجد سيجارته قد انتهت و دفنها بيده في مطفئة السجائر المليئة بعشرات السجائر السابقة...أيعقل ؟ كيف انتهت السيجارة في ثوان معدودة !

انتبه باتمان لما لاحظته, فابتسم قائلاً:

"الاستاذ كمال حريقة سجاير كينت...ست علب ف اليوم يعتبروا لعب عيال بالنسبة له, عشان كده سموه (كمال كينت)"

ثم استدار باتمان نحو كمال قائلاً:

"عاوز منك اي معلومات عن البنت اللى اسمها (سرينة كامل) اللى اتقبض عليها مع (ابو الروس عوضين).."

بحث كمال عن بعض الاوراق في درج مكتبه, ثم امسك بإحداهم قائلاً:

"اهو..(سرينة كامل المنياوي), 25 سنة, تم الافراج عنها بعد فترة التحقيق لعدم ثبوت صحة الأدلة.."

هلل باتمان فرحاً قائلاً:

"طب وهي فين دلوقتي ؟"

اجابه "كمال" معتذراً:

"والله معرفش, بعد ما خرجت من النيابة فص ملح وداب "

"تمام, متشكرين يا استاذ كمال"

قام باتمان من موضعه متعجلاً, لكني لم اتمكن من منع رؤيتي لبعض الفواتير المتراكمة علي جانب المكتب,و المعنونة بـ"خياط الأبطال" فأشرت نحوها مستفسراً, فأجابني "كمال" متلعثماً:

"دي فواتير الخياط اللى بيصلح لي قمصاني المقطوعة...اصل انا متعود اروح الجيم بعد الشغل, ومش بلحق اغير اللبس, فبتقطع من التمارين.."

اجابه باتمان :

"طب ماتركب سوستة بدل الزراير؟ بس عاش والله..الفورمة مظبوطة عليك..سلام يا كبير"

خرجنا من جريدة اليوم الثامن, فتوجهت لباتمان قائلاً:

"بس صحيح, اشمعني سرينة كامل اللى عمالين ندور عليها؟ مش المفروض ندور علي (ابو الروس)؟"

اجابني باتمان مطرقاً رأسه:

"مش هينفع...وبعدين بصراحة, مش هقدر اخبي عليك...انا بحب سرينة كامل ! "

سألته : " بتحبها ازاي؟ وانتا تعرفها منين ؟ "

تمتم باتمان: "غبي فشخ", ثم صاح في وجهي:

"يا جدع افهم....انا (ابو الروس عوضين) ! "

****

(11)

مرت ساعتان بعد علمي بهوية باتمان الحقيقية...كيف يمكن لهذا الثري العابث ان يصبح بطلاً عظيماً مثل باتمان !

ربما لم يكن بتلك العظمة بعدما شاركته فترة من الوقت, و تمكنت من متابعة هفواته و مشاكله عن قرب, ولكنه يظل علامة فارقة في تاريخ محافظة جوثام, و عدواً لا يستهان به لعديد من كبار المجرمين ...

كيف فعلت هذا يا (ابو الروس) ؟!

اعترف انني قد وقعت غراً ساذجاً في فخك منذ البداية...ولكن سيظل سرك في أمان معي..

جلسنا في شرفة منزلنا, احتسي كوباً من الشاي برفقة (ابو الروس) متنكراً كما سبق, فسألته باهتمام:

"و علي كده, (سرينة) تعرف انك باتمان ؟ "

اجاب "ابو الروس" بجدية تامة:

"مقدرش اخبي حاجة عن سوسو حبيبت ألبي.."

مططت شفتي ممتعضاً, بينما امسك (ابو الروس) بهاتفه المحمول ليجري مكالمة ما..

"ايوه يا عم فريد, حضر شنطتك عشان عندنا سفرية للشرقية"

اجابه عم فريد في الهاتف صارخاً :

" سفر برة جوثام؟ و اسيب شغل البيت و التنضيف و الغسيل لمين يا ريس؟ "

اجاب (ابو الروس) بعصبية:

"خلاص خليك ف جوثام, هروح انا وهلال "

نظرت نحوه مصدوماً, فأغلق (ابو الروس) المكالمة و نظر لي بجدية:

"عاوزك معايا في رحلة الشرقية دي"

"هنروح نعمل ايه هناك ؟"

اجابني باتمان ضاحكاً:

"مش إلك دعوة ! "

****

" الدكتور غريب لجلب الحبيب في خمس دقائق "

نظرنا سوياً للافته المكتوبة علي جلد ماعز مدبوغ, بينما يقودنا باب ضيق اسفل اللافته إلي منزل ريفي قديم في احد قري الشرقية, تناثرت علي حوائطه جماجم للحيوانات و رقع جلدية كُتبت عليها رموز غريبة, و انتشرت في المكان رائحة بخور ثقيلة تسبب الدوار, بينما جلس في اركان المنزل عديد من الاشخاص مختلفي الهيئات و الأعمار, في انتظار دورهم للدخول, و بنهاية صالة المنزل الواسعة جلس مساعد الدكتور , ليتولي إدخال الأفراد في موعدهم..

همست لـ(ابو الروس) بخوف:

"إيه المكان دا يابو الروس؟ "

اجابني بحزم:

"الدكتور غريب دا اشهر دجال في الوجه القبلي,هو الوحيد اللى هيعرف يدلنا علي مكان البت سرينة...و بالصدفة اعرف ناس اتعاملت معاه كتير, ف بعتوا له بتوصية انه يكرمنا و يظبطنا ف الحوار دا.."

انهي (ابو الروس) كلامه بينما ظل يتلفت حوله بإهتمام, فسألته :

"بتتلفت حواليك ليه ؟ فيه حد مراقبنا ؟! "

اجاب (ابو الروس):

" يجب ان يظل باتمان حذراً دائماً أثناء عودته لهويته الحقيقية, ربما كان مراقباً, حتي ولو كان بعيداً عن جوثام بمئات الاميال"

سألته بإندهاش :

"انتا بتتكلم بلغة فصحي ليه ؟"

رد (ابو الروس) بجدية:

" لأ دي جزء من القواعد الاساسية بتاعتي, ف لازم اقولها زي ماهي مكتوبة"

هززت رأسي متفهماً, لم يعد هناك مجال للاندهاش..هذا هو باتمان,لن يتغير سواء شئت ام ابيت..

ارتفع صوت المساعد صائحاً:

"الأوستاااذ (باتماااااااان) و مساعده الكاااابتن (هلاااااااال ماااااان) "

كدت اصدم رأسي في الحائط الاسمنتي من الغيظ ...بالفعل, لم يعد هناك مجال للاندهاش !

وداعاً أيتها الهويات السرية..

****

تقدم (ابو الروس) في تنكره السخيف, حيث ارتدي صلعة رأس و نظارة عريضة, و شارباً رفيعاً كشارب (إستيفان روستي), و ترك ذقنه نامية قليلاً, ليبدو كأحد الموظفين الماليين في شركة حكومية بأحد أفلام الثمانينيات المبتذله,و خلفه خطوت مرتعشاً من مرآي حوائط الممر الذي أوصلنا إلي غرفة الدكتور غريب الشخصية.. دمي و عرائس خشبية انغرست بها إبر معدنية طويلة, و رؤوس جديان محنطة, مع تمائم و تعاويذ معلقة بأحبال وبرية طويلة...ياله من مكان ملعون بالفعل !

جلست بجانب (ابو الروس) علي مقاعد خشبية قصيرة, امام مقعد ضخم تمت إدارته مقلوباً, فظللنا ناظرين نحو خلفية المقعد منتظرين ان يستدير ليكشف لنا عن الدجال..

ساد الصمت, فوكزت (ابو الروس) بخفة في جانبه هامساً:

"ماتقوم تشوفه يمكن يكون نام ولا حاجة ؟ "

قام (ابو الروس) بهدوء نحو المقعد, وامسك به ليديره, فوجدنا المقعد خالياً !

تناهي لأسماعنا صوت انتهاء دورة المياة , بينما خرج الدكتور غريب من باب جانبي, ففوجئ بوجودنا ليصرخ غاضباً: "انا قلت للحيوان اللى برة ميدخلش الناس دلوقت ! انتو مين ؟!"

اخرج "ابو الروس" كارت هوية ارتسم عليه شعار الوطواط, هامساً بجدية:

"جايين لك من طرف الغالي.." ثم غمز بعينه اليمني, فابتسم الدكتور غريب قائلاً:

"اكيد اكيد..اتفضلوا اهلاً وسهلاً"

قلت بإندهاش: " نفس الكلام تاني ؟ "

نظر لي (ابو الروس) بنظرة "ألم – اقل – لك ؟ "

جلس الدكتور غريب مزيحاً عبائته الحمراء والتي جعلته كسحرة اعياد الميلاد, بينما ظهرت تحت العباءة بدلة سهرة كحلية اللون, و ربطة عنق حمراء اللون بنقط صفراء صغيرة, وعلي رقبته تدلت قلادة دائرية ارتسمت عليها عين ذهبية..

"اتفضلوا قولوا طلباتكم.."

قالها ناظراً إلينا بهدوء, و قد اعطته هيئته الوقورة و شعره أشيب الفودين, هيئة الحكماء القدامي..

سألته بحنق: "مش المفروض تكون عارف احنا جايين ليه؟ ولا انتا ساحر أونطة ؟ "

امسك (ابو الروس) بذراعي بعصبية, قائلاً للدكتور غريب:

"احنا اسفين...مكانش يقصد اللى قاله..سامحنا"

ثم همس في اذني بغيظ:

"امسك لسانك, الراجل دا واصل و ممكن يسخطنا قرود حالاً"

تمتمت بسبة بذيئة في سري, بينما نظر نحوي الدكتور غريب بتركيز, فبدأت ادخنة البخور في الانبعاث حولنا من اللامكان, و ارتفعت حرارة المكان بشكل مفاجئ, وبينما يسيل العرق من جباهنا, فوجئنا بالدكتور

غريب يرتفع من موضعه في الهواء لعدة بوصات, ثم اغمض عينيه و من حلقه خرج إلينا صوت غليظ أثار فينا الرعب:

"سرينة في المنيا مستخبية, عند عمها تاجر الاثار المستخبية, في سمالوط هتلاقوها مستخبية, وعندها كل الاسرار المستخبية "

همست في اذن (ابو الروس) :

"هو العفريت دا معندهوش خبرة في الكلام المسجوع ولا إيه ؟ "

عاد الدكتور غريب لموضعه مرة أخري, و كما بدأت فجأة, انتهت الظواهر العجيبة فجأة, فعادت الحرارة لمعدلاتها الطبيعية, و اختفي البخور في لحظات..

نظر إلينا الدكتور غريب وقد بدا علي ملامحه الارهاق:

"أظن انكم عرفتوا اللى جايين علشانه ؟ "

ابتسم (ابو الروس) قائلاً بإمتنان:

"اه اكيد..متشكرين جداً يا مولانا, متشكرين جداً...نستأذن احنا "

خرجنا من منزل الدكتور غريب, و قد حل الحماس محل الرعب في قلب (ابو الروس), وظل يتمتم:

"جايلك يا سرينة يا حبيبت ألبي...جايلك خلاص "

هرولت خلف (ابو الروس) لنترك المكان , بينما إلتف حولنا بعض الاطفال القرويين يمرحون بعبث طفولي, ويقودهم شخص يبدو عليه أنه مجذوب القرية, والذي ظل يهتف:

"أنا ديدبول ...أنا ديدبول...فاكرينا مش عارفين انكم ابطال خارقين؟ فاكرينا عيال هبلة مش واخدة بالها؟ "

****

(12)

الحاج (كامل المنياوي) متواجد بمحافظة المنيا...شئ منطقي و متوقع !

تمكن (ابو الروس) بعلاقاته المتعددة من إيصالنا إلي فيلا عم (سرينة) في سمالوط...في مصر يمكنك ببعض الاسئلة و الاوراق المالية, أن تصل للمعلومة المرغوبة مهما كانت سرية او خطرة..

امام فيلا الحاج (كمال المنياوي) توقفت عجلات سيارتنا لنهبط منها سوياً, وكالعادة تقدم(ابو الروس) الطريق, قبل ان يستوقفه خفير المنزل القروي سائلاً إياه عن سبب مجيئه..

اردف (ابو الروس) بثقة:

"عاوزين الحاج كامل المنياوي ضروري"

همست مسرعاً في اذنه:

"مش دا...احنا عاوزين كمال, مش كامل"

فسارع (ابو الروس) مصححاً للخفير:

"الحاج كمال...كماااال...قول له جايين لك من مصر بخصوص شغل ضروري"

نظر نحونا الخفير بعدم تصديق, ولكنه هز كتفيه, ليصيح بعدها بأحد الخفراء الآخرين, ليقودونا نحو الفيلا ذات الدورين و المحاطة بحدائق و حقول خضراء تسحر الانظار..

اقتادنا الخفير إلي بهو الفيلا, والتي جلسنا فيها علي احدي الارائك المذهبة, و نظرت بانبهار لاثاث و مقتنيات الفيلا التي تدل علي ثراء فاحش..

نظر (ابو الروس) بملل إلي ماحوله, و إن لم استبعد ذلك, فشخص كـ(ابو الروس) لابد من امتلاكه لما يفوق كل ذلك بمراحل..

تمتمت بغيظ:

"كل دا بفلوس حرام...ياللا, ربنا يسهل له"

ابتسم (ابو الروس) مانعاً نفسه من الضحك, بينما حضر إلينا الحاج (كمال) في جلباب صعيدي فاخر, يعلوه شال من الصوف, و معه زوج من الحراس الاشداء..

استقبلنا الحاج(كمال) في هدوء, وقبل ان يسترسل (ابو الروس) في الحديث, اقترب من الحاج (كمال) هامساً له في خفوت:

"ياريت تبعد حراسك شوية عشان محتاجك في موضوع سر يخص (سرينة) بنت اخوك "

عقد الحاج (كمال) حاجبيه في شدة, ثم اشار لحراسه بيده, فابتعدوا لنهاية البهو..

تحدث (ابو الروس) بثقة:

"احنا جايين لك عشان نساعد (سرينة) بنت اخوك كامل , بخصوص قضيتها"

اجاب الحاج(كمال) بشك:

"انا معرفش اي حاجة عن (سرينة) من ساعة ماراحت مصر"

ابتسم (ابو الروس) قائلاً:

" يا حاج كمال انا مش قليل...انا عارف انها مستخبية عندك من ساعة ما القضية اتقفلت, بس مين ضامن يمكن القضية تتفتح تاني"

هب الحاج (كمال) واقفاً ليصيح بغضب:

"انتا جاي تهددني في بيتي ! "

انتفض الحارسان لغضب سيدهما, فاقتربا بسرعة و قد اخرج كل منهما سلاحه الخاص, فهرعت لأقف حائلاً بين (ابو الروس) و الحاج (كمال) قائلا بسرعة:

" يا حاج..ياحاج...صل ع النبي كده و اهدا...الاستاذ ميقصدش حاجة غلط لا سمح الله...احنا بس بنطلب منك تبلغ الانسة (سرينة) ان الاستاذ موجود و محتاج يقابلها, وساعتها هتعرف اننا مش قصدنا شر "

استمرت نظرات الحاج (كمال) الغاضبة لثوان, ثم اشار نحو احد حراسه, ليهمس في اذنه ببعض كلمات..

ركض الحارس نحو احدي حجرات الفيلا, ليخرج منها بعد دقيقتين و في إثره (سرينة كامل)..

تعالت في ارجاء الفيلا اصوات خطوات (سرينة) بكعب حذائها الرفيع, ليدق قلبي دقات زائدة مع كل دقة من دقات الكعب علي ارضية الفيلا الملساء..

خصر متمايل محاط بإنحناءات و بروزات ملتهبة من جميع الانحاء شمالاً و جنوباً, و بفستان ضيق يكشف للجميع كل ما يفترض ستره, اكتملت اركان الجريمة الكاملة التي ارتكبتها (سرينة) بحق قلوبنا جميعاً...

" يالهووووووووي....سي (ابو....)!"

****

تلعثمت (سرينة) فجأة لتصيح:

"ابو...ابو....ابو يوسف ! مستر أبو يوسف ؟ "

ثم هرعت نحو "ابو الروس" لتصافحه بحرارة, و تخبر عمها بحماس:

"دا مستر (خالد ابو يوسف) مخرج الاعلانات اللى اشتغلت معاه ف جوثام..راجل محترم اوي يا عم (كمال), ربنا يكرمه و يرزقه من وسعة"

استمر الحاج "كمال" متفحصاً "ابو الروس" بشك, ثم رضخ للواقع ليطلب مننا جميعاً الجلوس واستكمال الحديث..

لم اتمكن من تجاهل النظر نحو "سرينة" بوجهها الملائكي الرقيق, وجسدها الشيطاني المتوهج, فنظر لي "ابو الروس" شزراً بينما تقوم "سرينة" بتقديم المشروبات الساخنة لعمها ثم إلينا..

انتهت الجلسة بعد نصف ساعة, و استطاعت "سرينة" ان تقنع عمها بالسماح لنا بالمبيت في احدي غرف الفيلا الواسعة لمدة يومين, بعد زعمها برغبة "ابو الروس" في استكشاف المنطقة تمهيداً لإستخدامها في تصوير احدث اعلاناته القادمة..

تمكن "ابو الروس" من اختلاس بعض الدقائق علي انفراد مع "سرينة", إثر قيام عمها بإجراء مكالمة هاتفية طويلة, و قمت انا متظاهراً بالنظر إلي الاثاث الفخم و اللوحات الثمينة المنتشرة من حولي..

همس "ابو الروس" بسعادة:

"واحشاني يا سوسو أحبيبت ألبي "

اجابت "سرينة":

"وانتا كمان يا سي بات...قوللي هربت ازاي من البوليس بعد ما اتمسكنا؟"

"فكك دلوقتي انا هربت ازاي..المهم طمنيني عليكي..انتي كويسة؟ وايه اللى جابك هنا؟ "

ردت "ٍسرينة" بحزن:

"عمي الله يكرمه وصي عليا المحامين و البوليس و خرجوني, فجيت استخبي عنده, واهو كان مديني حتة تمثال قطة فرعوني ف عيد ميلادي التاسع, فقلت اجي اخليه يتصرف فيه, يطلعلي منه قرشين كويسين.."

اجابها "ابو الروس" بتأثر:

" طب تعملي كده ليه وانا موجود أحبيبت ألبي؟ انتي شاوري بس, و فلوس جوثام كلها تبقي تحت رجلك"

ابتسمت "سرينة" قائلة:

"تسلم و تعيش يا سي بات...انتا عارف برضو الدنيا عاملة ازاي ف مصر, بعد الفضيحة دي محدش هيرضي يشغلني ف اي اعلان , و محبتش اضايقك وانتا لسه عندك مشاكل ف القضية"

اجاب "ابو الروس" بجدية:

"مفيش الكلام دا...من دلوقتي سيبي كل حاجة عليا"

سارعت "سرينة" بهلع:

"طب إلحقني بأه...عمي جايب لي عرسان, اتصرف و طفشهم والنبي, عمي عصبي و مش هيرضي اني ارفض حد منهم"

اجابها "ابو الروس" بغيظ:

"عرسان مييييين؟ انتي بتاعتي يا بت! علي اخر الزمن ييجي شوية عيال هايفة يتصدروا لباتمان ف مراته ؟ "

لمعت عيون "سرينة" بهيام قائلة بخفوت:

" يا دكررررري ! "

تنحنح الاثنان بعد اقتراب عمها الذي انتهت مكالمته الهاتفية, بينما ظللت في موضعي متأملاً للوحات الحائط, و يبدو انه لم يأبه احد لغيابي عن الجلسة من الاساس..

جلست "سرينة" متوسطة عمها و "ابو الروس", و قالت بهدوء:

"مستر (خالد ابو يوسف) هو اللى كان بيراعيني ف مصر يا عم (كمال)...وانتا عارفني وحيدة ابويا و امي الله يرحمهم, فكان هو زي اخويا الكبير و اكتر والله..."

تمتم الحاج "كمال" بنفاد صبر:

"ربنا يكرمك يا استاذ...صاحب واجب"

هز "ابو الروس" رأسه في امتنان, لتستكمل "سرينة" حديثها:

"انا موافقة ع العرسان اللى انتا جايبهم يا عم (كمال), بس شرطي الوحيد إذا سمحت, إن مستر (خالد) هو اللى يسأل عنهم قبل ما ييجو, و اللى تشوفه برضو يا عمي"

احمرت عيون الحاج "كمال" غضباً, فاسرع "ابو الروس" قائلاً:

" طبعاً يا حاج مينفعش دا يتم من غير وجودك برضو, بس انتا راجل صاحب مشغوليات و وقتك مش ملكك, ف انتا لو حابب, ممكن تبعت معانا حد من رجالتك واحنا بنقابل العرسان, وربنا يعمل اللى فيه النصيب"

صمت الحاج "كمال" بينما احاطت به المجاملات من "ابو الروس" و "سرينة", فزفر غاضباً ليعلن موافقته بصعوبة, بدون الحاجة لإيفاد آخرين معنا..

****

في غرفتنا الخاصة,بالدور العلوي من الفيلا...امسك "ابو الروس" بورقة سطرت عليها بعض الاسماء, ليتمتم بهم كطالب يحاول حفظ إحدي الاناشيد المدرسية قبيل الامتحان..

سألته بعصبية:

" هتنام امتا يا عم؟ مش وقت مذاكرة دلوقتي..اللي ذاكر ذاكر خلاص"

نظر لي "ابو الروس" بجدية:

" دول 3 اشخاص, هما المانع الوحيد عن وصولي لـ(سرينة) حبيبت ألبي"..لازم افكر لهم في خطة تبعدهم عن طريقي, بحيث ميبقاش فيه حل غيري انا ف الاخر "

ثم وضع الورقة امامه مرة أخري ليردد بخفوت:

- اشرف ابو كولمان...موظف في وزارة الري و الصرف الصحي

- داوود عابدين...حداد

-المعلم قوانص الاقرع...جزار

ثم طوي الورقة بعناية, ليضعها بجيب سرواله, ثم اغلق اضاءة الغرفة هامساً :

"فاضل ع الحلو 3 تكات.."

****

(13)

اخبرني "ابو الروس" بخطته البسيطة في طريقنا إلي أولي الضحايا...غرضنا الاساسي هو إفساد تلك الزيجات المزعومة, و إبعادهم عن طريقه نحو قلب ملكته المتوجة "سرينة كامل".. بأي ثمن !

نظرت له برعب عندما همس اخر كلماته, فاستدرك قائلاً:

"بس اكيد مش لدرجة الأذي يعني"

وضع "ابو الروس" اختياره الاول " اشرف ابو كولمان" الموظف الحكومي, لكونه هدفاً سهلاً يصلح كبداية لتلك العملية الهامة,..

وصلنا لمبني مصلحة وزارة الري و الصرف الصحي بالشرقية , و بهدوء طلب "ابو الروس" من احد السعاة أن يصله بـ"ابو كولمان", فارشدنا إلي غرفة ضيقة عبرنا إليها من خلال ممر متداعي ملئ بالشروخ و الرطوبة الناتجة عن تسريب المياة, و بداخل الغرفة استقر مكتبان متواجهان, بينما استقر الموظفان علي مقاعدهما في تراخ, لتلبية مطالب و شكاوي المواطنين المتواجدين داخل و خارج الغرفة..

كاد "ابو الروس" ان يستفسر علي هوية "اشرف ابو كولمان", ولكنه لمح "كولمان" اخضر اللون يرتكز بجانب مكتب احد الموظفين, فاتجه نحوه بثبات قائلاً:

" الاستاذ (اشرف ابو كولمان) ؟ "

رد الموظف بالإيجاب...حسناً, يبدو أن (اشرف ابو كولمان) يمتلك كولمان حقيقي و ليس مجرد اسم شهرة..

انحني "ابو الروس" نحوه و همس بخفوت:

"جايين لك من طرف الغالي...احم..اقصد من طرف الحاج كمال المنياوي,بخصوص موضوع الجوازة"

هب "اشرف" بسرور مرحباً بوجودنا, و امسك بـ"ابو الروس" من طرف كوعه هامساً:

"تعالوا بينا برة أحسن, هنا الحيطان ليها ودان"

تبعناه في صمت, بينما استمر ترحابه بلهجته الصعيدية البسيطة, إلي ان اقتادنا لكافيتريا المبني, وهي غرفة بائسة جلس بها شاب نحيف امام ماكينة صنع المشروبات الساخنة و بعض الاكواب البلاستيكية و قطع من البسكويت الجاف, و امامه تراصت بعض المقاعد الخشبية و الموائد الصغيرة كمقهي مصطنع..

غمز "اشرف" للشاب صائحاً:

"احلي كوبايتين شاي عندك يا متولي, و اتوصي بالسكر "

هب الفتي لإعداد الشاي, بينما جلس "أشرف" علي احدي الموائد, فتبعناه و جلسنا امامه..

بدأ "ابو الروس" حديثه قائلاً بجدية:

"احنا قرايب العروسة, و الحاج كمال بلغنا بيك, و اكيد في وضع زي دا, لازم نسأل و نستفسر عن الشخص اللى هيناسبنا و يبقي فرد من عيلتنا الكبيرة"

هز "اشرف" رأسه بوقار قائلاً:

"دي الاصول برضو...شوف يا بيه, انا راجل زي الفل, تقدر تسأل عني ف اي مكان, ومش هتسمع غير كل خير بعون الله"

سأله "ابو الروس":

"تعرف الانسة (سرينة) منين ؟ "

نظر لنا "اشرف" من وراء عويناته العريضة:

"ولاد الحلال دلوني عليها"

تمتمت بغيظ:

" ولاد الحلال شكلهم بيحبوك اوي...يازين ما اختاروا والله.."

نظر لي ابو الروس بصرامة, ثم التفت لـ"ابو كولمان" قائلاً:

" طب انتا ليك ف الاغاني و اعلانات التليفزيون يا استاذ؟"

رد "اشرف" بسرعة :

" لا يا باشا, مليش انا ف الهجص و قلة الادب دي...انا راجل دوغري, ملتزم ف شغلي وبيتي بما يرضي الله.."

اتمتم في سري: " دانتا غلبان و علي نياتك والله.."

اتي الشاب بأكواب الشاي, فتناولت كوبي و ارتشفت اول رشفة, لأفاجأ بمرارته الشديدة...اين التوصية الخاصة بالسكر ؟ ارتعبت من تخيل شربي للشاي بالمعايير العادية...الشاي الصعيدي ليس بالمشروب السهل علي الاطلاق !

تركت الكوب دون استكمال, بينما نظر "ابو الروس" بجدية نحو "ابو كولمان" قائلاً:

"احنا طبعاً نحب لبنتنا تعيش احسن عيشة, و بصراحة الراجل ميعيبهوش غير جيبه...مرتبك الحالي في المصلحة, و اوضاعك المادية مش هتبقي مناسبة لينا, ف انا يؤسفني اقولك ان مفيش نصيب, بس انا هعمل معاك واجب لأني حبيتك زي اخويا...هبعتك ف عقد اعارة للكويت عند شيخ محترم اعرفه من زمان, صاحب شركة كبيرة لتوريد الكولمان في الخليج, و هتمسك كل الامور المالية للشركة هناك...إيه رأيك يا استاذ اشرف ؟"

لمعت عيون "ابو كولمان" بعد حزنه بسبب الرفض, و قفز محتضناً "ابو الروس" بحماس صائحاً:

"ربنا يعمر بيتك...ربنا يكرمك...ربنا ما يوقعك في ضيقة"

ثم اخذ يدور في المكان محادثاً نفسه بتلعثم:

"الدينار الكويتي يعمل كام دلوقتي؟ عشرة وعشرين...و نزود واحد..و نقسم علي 5...اللهم صل ع النبي"

تركنا "اشرف ابو كولمان" في احتفالاته الصاخبة, و تركنا اكواب الشاي المر كما هي , ليبتسم "ابو الروس" بثقة بعد انهائنا لأولي مراحل خطته الجهنمية..

****

في ورشة حدادة "ابن عابدين", جلسنا علي صناديق خشبية مركونة بجوانب الورشة, انتظاراً للأسطي "داوود" من انتهائه لعمله..

احاطت بنا الادوات الضخمة و المطارق و اكوام من الحديد المقطوع و اصوات الطرق المزعجة من كل ناحية, ليظلم المكان فجأة بعدما اقترب منا شخص ضخم الجثة اخفي عننا اضاءة المصابيح قائلاً بصوت غليظ:

"انتو اللى بتسألوا عني ؟"

اجاب "ابو الروس" مرتعشاً:

" علي حسب ؟ "

صاح الرجل بعصبية:

"مش انتو اللى جايين من طرف الحاج كمال ؟ "

هز "ابو الروس" رأسه بقلق, فأشار الرجل بكف يده العريض قائلاً:

" تعالوا ورايا.."

نظرت لأبو الروس متردداً, ولكنه اشار لي هامساً:

" خلينا وراه...يارب ميكونش الاسطي داوود, و إلا ساعتها لازم نبوظ الجوازة غصب عننا..الله يكون ف عونك يا سرينة يا حبيبت ألبي ! "

****

اقتادنا الرجل لخارج الورشة, لنجلس علي زوج من الاطارات الكاوتشوك الضخمة, ثم خلع قفازه البلاستيكي المتسخ بالشحوم, لتظهر اصابع ضخمة غليظة اتسخت بالشحوم ايضاً...فما فائدة القفاز إذاً ؟

مد الرجل يده نحوي بالسلام قائلاً:

"استاذ خالد ابو يوسف؟ "

هززت رأسي خائفاً, ثم اشرت بصمت نحو "ابو الروس", فمد الرجل يده نحوه قائلاً:

" الاسطي (داوود عابدين)...بس تقدر تقوللي يا تور "

نظر نحوه "ابو الروس" برعب هامساً:

"ماهو واضح...اهلاً وسهلاً...تشرفنا يا اسطي"

اجاب الاسطي "تور" بترحاب:

"اؤمرني يا استاذ, محتاجين ايه بخصوص الجوازة ؟ انا من ايديكم دي لإيديكم دي"

رد "ابو الروس" بغير تصديق:

"داحنا اللى من ايدك دي....لنفس الايد والله, احنا مش قد ايديك الاتنين سوا !

ثم استكمل, محاولاً ان يجعل نبرة صوته علي قدر من الجدية:

" المهم... احنا قرايب العروسة, و الحاج كمال بلغنا بيك, و اكيد في وضع زي دا, لازم نسأل و نستفسر عن الشخص اللى هيناسبنا و يبقي فرد من عيلتنا الكبيرة"

هب الاسطي "تور" فجأة قائلاً:

"اكيد...ثانية واحدة و جايلك يا استاذ"

دخل إلي ورشته لبضع دقائق, بينما اتجه "ابو الروس" نحوي قائلاً:

"اتصرف معاه ازاي دا ؟ انا كنت ناوي اهدده بناس ف الحي او ف الداخلية ممكن يقفلوا له الورشة, لكن بالشكل دا احنا مش هنطلع من هنا عايشين لو عملت كده ! "

عاد الأسطي "تور" من داخل ورشته نحونا حاملاً مطرقة ثقيلة, فقفزت من موضعي هارباً, ولكن امسك بي "ابو الروس" بقوة من ملابسي ليجذبني نحوه مرة أخري, لنجلس سوياً في قلق مما قد يفعله بنا ذلك الثور..

ابتسم الاسطي "تور" قائلاً:

"معلش بس يا اساتذة, ورايا مصلحة متأخرة محتاج انجزها في السريع, خمس دقايق و ابقي معاكم"

ثم ضغط زراً علي هاتفه المحمول, لتندلع اصوات صاخبة للمغني الشعبي "حسن شاكوش", رافقه فيها "تور" بالطرق بمطرقته علي إحدي القطع المعدنية الدائرية الضخمة..

مابين طرقاته و كلمات "شاكوش" الصاخبة, صاح "تور" نحو "أبو الروس":

"الاستاذ شغلانته إيه ؟ "

اجابه "ابو الروس" بإنزعاج:

"مخرج إعلانات"

صاح "تور":

"مخرج برضو ؟ انا بشتغل دلوقتي مع ناس زمايلك,جايين المنيا بيعملوا اعلان للكابتن ايجيبت, و عاوزين مني اصلحلهم الدرع اللى باظ ف التصوير.."

قاطع استمرار الاغنية صوت رنة الهاتف, فامسك به "ثور" ضاغطاً علي زر السماعة الخارجية ليجيب المكالمة:

"ألو...ايوه يا استاذ ؟"

اتاه الصوت من الهاتف صائحاً:

"هاه ياسطى تور ، الدرع خلص؟"

اجابه "تور": " ف ايديا بقفله اهو يا باشا...تعالا كمان ربع ساعة استلمه"

اتاه الرد: "ماشي ياسطى بس بلاش الواد سوكي يكون اشتغل فيه حياة أبوك يا شيخ علشان غشيم ,و طبقه المرة اللي فاتت"

رد "تور": " عيب يابو الكباتين, دا اخويا و ايده تتلف ف حرير...انا ظبطتهولك بنفسي"

ثم انهي بعدها المكالمة, ليتعجل "ابو الروس" إجراء الحوار خوفاً من انكشاف امرنا بوصول المخرج الحقيقي..

"بص ياسطا تور... احنا طبعاً نحب لبنتنا تعيش احسن عيشة, و بصراحة الراجل ميعيبهوش غير جيبه..."

توترت قبضة الاسطي "تور" علي مطرقته, ناظراً نحونا في عدم فهم, فاستدرك "ابو الروس" متوسلاً:

"ف انا عندي ليك عرض من أخ لأخوه, عشان حبيتك من اول ماشفتك,والله العظيم حبيتك.."

ثم انحني نحوه وهو يختار كلماته بعناية:

"انا هبعتك عقد اعارة للسعودية, عند شيخ صاحبي اعرفه من زمان, عنده مصانع حديد وصلب و محتاج اسطي تقيل زيك يمسكهاله..غالباً مش هيحتاج غيرك ف المصنع اساساً...تروح لك سنتين, تعمل قرشين حلوين, تيجي تتجوز الانسة (سرينة), ولو عاوزني ارقصلك ف الفرح, انا خدامك ياسطي,إيه رأيك؟ "

صمت الاسطي "تور" قليلاً, ثم التفت نحو "ابو الروس" قائلاً:

"انا موافق...بس خليهم 3 سنين مش سنتين"

همست بغيظ: "دانتا لقطة", بينما تراقص "ابو الروس" من الفرح, فالفرحة فرحتان...

ابعدناه عن "سرينة", و تمكنا من مغادرة الورشة علي قيد الحياة !

****

(14)

خطة "ابو الروس" تسير في طريقها للنجاح, بينما نجلس امام المعلم "قوانص الأقرع" في محل جزارته "جواهر سمالوط", نظرت بقلق علي وجهه العريض الملئ بالخدوش و ذقنه الحليق الذي لم يخلو من اثار جروح سابقة, و بنظرة أخري لجلبابه الابيض الملطخ ببقع الدم, بينما بدأ "ابو الروس" حديثه:

" احنا قرايب العروسة, و الحاج كمال بلغنا بيك, و اكيد في وضع زي دا, لازم نسأل و نستفسر عن الشخص اللى هيناسبنا و يبقي فرد من عيلتنا الكبيرة"

ابتسم المعلم "قوانص" بينما يسحب نفساً من مبسم الشيشة, ناظراً نحونا بعدم اهتمام, ليكمل "ابو الروس" حديثه:

"انتا تعرف الانسة (سرينة) منين يا معلم؟ "

ترك المعلم "قوانص" الشيشة قائلاً بهيام:

"انا راجل اقدر الحاجات الغالية, و اعشق الجواهر" مشيراً بأصابع يده التي امتلأت بخواتم ضخمة ذات فصوص ملونة كسائر المعلمين و اصحاب الحرف, ثم استدرك:

" و (سرينة) دي احلي جوهرة شفتها في حياتي...متابع كل اعلاناتها...اعلان السمنة البلدي, يابوي ع البلدي...ولا اعلان الشوكلاته...يالهوي عليها وهي بتدوب ف البوق "

صاح "ابو الروس" بغضب:

" مين دي اللى بتدوب ف البوق يا معلم ماتحترم نفسك اومال ! "

اجابه المعلم ضاحكاً:

"اقصد الشوكلاته يا استاذ...متبقاش عصبي كده"

زفر "أبو الروس", ثم نظر نحوه بجدية قائلاً:

"طب اسمع يا معلم...معندناش بنات للجواز"

دفع المعلم الشيشة جانباً علي الارض, ليصيح بغضب:

"يعني ايه الكلام دا؟ حد يرفض المعلم (قوانص الأقرع) ؟ "

اجابه "ابو الروس" بذكاء:

"هو انا بقول حاجة من عندي؟ دا الدين هو اللى بيقول...مش انتا متجوز اربعة برضو يا معلم ؟"

تلعثم المعلم "قوانص" قائلاً:

"ايه الكلام دا...محدش يعرف الحوار دا غيري ! "

ابتسم "ابو الروس" قائلاً:

"اديك مطلعتش لوحدك يا معلم...دلوقتي قبل ما تضطر تطلق واحدة منهم, هيكون الكل عارف دا و أولهم نسوانك يا معلم... يبقي بدل ما نخرب البيوت, و نبوظلك دماغ الحجر اللى انتا شاربه دا...اسمع مني العرض اللى هقولهولك.."

اجاب المعلم "قوانص" بغيظ:

"يعجبني كلامك...قول يا استاذ "

رد "ابو الروس": "تخيل معايا كده...سلسلة محلات جزارة عليها اسمك يا معلم, و انسي بأه السبكي و صبحي كابر و كل الاسامي الكبيرة دي خالص...من دلوقتي مفيش غير جزارة الأقرع في كل مكان...نقول مبروك ؟ "

هرش المعلم "قوانص" ذقنه قليلاً, ليهز رأسه موافقاً, ليبتسم "ابو الروس" معلناً وصوله لهدفه الأسمي..

****

اصطنع "ابو الروس" عدم التصديق بعدما وصل للحاج "كمال المنياوي" رفض المرشحين الثلاثة لعروض الزواج من "سرينة", و بينما يستشيط الحاج "كمال" من الغضب , لم يتوقف قلب "ابو الروس" عن الرقص من

فرط السعادة, والذي استمر بتهدئه غضب الحاج رفقة "سرينة" بكلامهما المعسول...

انتهت التهدئة بإستطاعة "ابو الروس" برفقة "سرينة" أن يقنعوا الحاج "كمال" بعودة "سرينة" لمجال الاعلانات مرة أخري, تحت اشراف خاص لجميع خطوات العمل من "ابو الروس"..

في سيارة "ابو الروس" عدنا لجوثام, وبالكرسي الامامي بجانب "ابو الروس" جلست "سرينة" بدلال, تنظر نحوه في استمتاع لحديثه الذي لم ينقطع..

"الحمدلله يا حبيبت ألبي, خلصنا من التلات بلاوي, و هيخلي لنا الجو لوحدنا"

نظرت "سرينة" نحوي بعد جملة "ابو الروس", فتظاهرت بالنوم بالكراسي الخلفية للسيارة, بينما اكمل "ابو الروس" مطمئناً لنومي المزعوم:

"هلال دا ابن حلال...بقي دراعي اليمين, و ياما ساعدني ف الفترة اللى فاتت.."

ثم ابتعد "ابو الروس" بنظره عن الطريق الصحراوي الخالي الممتد أمامنا, ليهمس لـ"سرينة" بقلق:

" بس قبل ما نكمل سوا, انا محتاج اعترف لك بحاجة يا حبيبت ألبي.."

شاركته "سرينة" القلق بهمس:

"قول يا سي بات, ولا يهمك ياخويا"

اجابها "ابو الروس":

"انا عندي طفل من جوازة قديمة.."

شهقت "سرينة" في صدمة, بينما استكمل "ابو الروس" كلامه بأسي:

"هو أينعم واد متدلع و مغرقني بالطلبات علي طول, بس ابني يا سرينة...الواد (دومي) لسه ف سنة 6 ابتدائي, بس جن, طالع لأبوه الخالق الناطق "

ابتسمت "سرينة" بعصبية, ثم قالت:

"طب و تبقي مين أمه بأه يا سي بات ؟ "

اجاب "ابو الروس" بسرعة:

"والله كانت جوازة قديمة و راحت لحالها...غلطة ف بدايات مشوار حياتي ...كان اسمها (تاليا), و تبقي بنت راس الغول قاطع الطريق المشهور...كنت ف مهمة ضده, وقابلتها, وساعتها حصل اللى حصل"

نظر "ابو الروس" للطريق بشرود, مسترجعاً ذكريات تلك الليلة في وكر رأس الغول بوسط الصحراء, بينما تمتم هامساً:

"ازاي راس الغول و يخلف (تاليا), بس ماعلينا...مجاتش ع الاسامي, ماهو فيه اللى اغرب من كده...و قميص النوم اللى كان بينور ف الضلمة....مسم...اييييه.."

استفاق فجأة علي ضربة من يد "سرينة" علي كتفه الأيمن, فاستدرك بسرعة:

"بس زي ماقلتلك...دي كانت شقاوة قديمة و انتهت...حتي الواد سايبه عند أمه بقاله سنين, و بشوفه كل شهر مرة عندي ف القصر و خلاص"

نظرت "سرينة" نحوه بامتنان قائلة:

"ميهمنيش اللى فات يا سي بات...المهم اننا نبقي سوا "

امسك "ابو الروس" بقبضة يدها, و طبع قبلة خفيفة عليها قائلاً:

"هتجوزك يا بت يا سرينة, و اعمل لك احلي فرح فيكي يا مصر, وشهر عسلك ف المكان اللى يعجبك...نروح الاقصر و اسوان و نحجز سويت بحاله ف فندق (واكاندا), او نقضيها ف البحر ف الساحل الشمالي ف اسجارد 3 "

اجابته "سرينة" بغنج:

" لأ والنبي يا بات, انا عاوزة اقضي شهر عسلنا برة مصر...انا مش اقل من بنت خالتشي...عاوزة اروح اتلانتس...بيقولوا مش بعيدة عن اليونان, وتحت البحر و حاجة اخر فرفشة..."

رد "ابو الروس" غامزاً بعينه:

" من عينيا البيضا اللى ف الماسك يا قطة "

بدأ نومي المصطنع في التحول إلي نوم حقيقي من فرط الملل... يالها من علاقة مقززة !

****

وصلنا إلي كهف الوطواط أسفل منزل آل "عوضين", فتركتنا "سرينة" لتصعد لغرفتها الخاصة, بينما وقف "ابو الروس" متأملاً بإستمتاع لمفاتنها اثناء صعودها درجات السلم العريضة, ثم التفت بعدها ليجدني متسمراً بجانبه ناظراً نحو "سرينة"...

"احم..احم"

انقطع شرودي لأنظر نحو "ابو الروس" قائلاً في حرج:

"حمدالله ع السلامة يا كبير...نورت بيتك"

استقبلنا عم "فريد" بطريقته المعتادة, حاملاً صينية معدنية عليها اكواب الشاي بلبن, فسأله "ابو الروس" بإهتمام:

"البدلة اتغسلت يا عم فريد؟ انا غايب عن جوثام بقالي ايام و عاوز ارجع للشوارع بقوة "

رد عم "فريد" بلهجة جافة:

" مفيش ولا بدلة جاهزة دلوقتي, كلهم ف الغسيل"

انتابت "ابو الروس" صدمة مباغتة, فتساءل :

"إزاي يعني يحصل دا؟ المفروض انهم يبقوا جاهزين انهارده, انا مش موجود بقالي ايام.. ليه التأخير؟ "

اجاب عم "فريد" بنفس اللهجة:

" لو انتا مهتم, كنت عرفت لوحدك.."

ثم استدار عائداً لغرفته, تاركاً المكان و "ابو الروس" في حيرة شديدة..

"يعني إيه لو انتا مهتم ؟ ايه الجو دا؟"

ثم هرع نحو لوحة التقويم الموضوعة بجانب كمبيوتر الكهف المركزي, لينظر مردداً:

"انهارده يوم إيه...إنهارده...يووووووه يادي النيلة...امبارح كان عيد ميلاد عم فريد ! "

ثم ارتمي بأسي علي مقعد الكمبيوتر قائلاً بعصبية:

"إزاي نسيت دا وسط الدوشة دي كلها...اهو اتقمص و مغسلش البدلة...شكلنا هنقضيها انهارده اجازة"

استدار بمقعده نحو الشاشات هامساً:

"مادام انهارده أوت, يبقي نشغل اي حاجة نتفرج عليها بأه "

ضغط ازرار الكمبيوتر, فخرجت اصوات غريبة تدل علي وجود خطأ ما, تبعها ظهور جملة باللون الاحمر علي كل الشاشات:

"عطل في النظام...فيروسات ضارة أصابت الملفات الرئيسية"

ضغط "ابو الروس" بعض الازرار بعصبية, محاولاً استرجاع بيانات الجهاز, قائلاً بغضب:

"الفيروس جه منين ؟ هو فيه حد قعد علي الجهاز اليومين اللى فاتوا دول؟ "

وقفت بجانبه ناظراً للشاشات, بينما استطاعت برمجيات مقاومة الفيروسات الكشف عن اخر التعديلات المضافة للجهاز, لتظهر بعض الملفات, و ننظر لأسمائها بدهشة..

"شاهد قبل الحذف...فضيحة سهير رمزي و ناهد شريف " , "الفيلم المسرب للراقصة بديعة مصابني مع قريب الملك فاروق"...

تمتم "ابو الروس" مبهوتاً:

" واضح ان عم فريد كان خاربها ف عيد ميلاده امبارح ! "

****

(15)

في صباح اليوم التالي - او بالأصح في عصر اليوم التالي - استيقظ "ابو الروس" متكاسلاً, فنهض من فراشه الوثير, ليهبط درجات سلم المنزل العريضة نحو كهف الوطواط صائحاً بصوت أجش:

"فرييييد...الفطاااااار فيييييييين ؟ أنا جعاااااااان...يا فررر.."

بتر صياحه عند رؤيته لـ"سرينة" برفقتي مع عم فريد أثناء مشاهدتنا لشاشة التلفاز الضخمة, ثم تلعثم قائلاً لنا:

"صباح الخير يا جماعة...معلش نسيت انك موجودة هنا يا حبيبت ألبي"

اجبته ساخراً:

"صباح إيه يا ريس...الساعه 3 العصر دلوقتي"

نظر "ابو الروس" بإهتمام للشاشة متساءلاً:

"دا انهي فيلم اللى بتشوفوه ؟ "

اجابت "سرينة" بلا اكتراث:

" لأ دا مش فيلم...دا بيحصل دلوقتي في شوارع جوثام"

اصيب "ابو الروس" بالهلع, بعدما رأي علي الشاشة امامه تسجيلات حية لوحوش عملاقة تجتاح شوارع المدينة, تعيث فساداً في الطرق و المباني..

"طب جهزلي العربية و البدلة بسرعة يا عم فريد , الله يباركلك..ارواح الناس دي ف رقبتنا دلوقتي"

استعد "ابو الروس" للركض نحو سيارة الوطواط, لكن استوقفه "فريد" صائحاً:

"باشا ! الناس مش خايفة من الوحوش و بياخدوا معاها سيلفي "

استكلمت من بعد عم "فريد" قائلاً:

" و فيه راجل عجوز بيكلم المذيع و فاكر انها اوناش بتاعت حفر الكباري "

نظرنا جميعاً للوحوش التي شعرت بالاحباط و تركت المنطقة و حلقت بعيداً في السماء, بينما همس "ابو الروس" بإندهاش: "إيه الشعب دا ! "

****

علي مائدة الغداء, جلسنا سوية نحن الاربعة نتناول الطعام بكل هدوء, بينما سألت "ابو الروس" بجدية:

"دلوقتي هتعمل إيه في حوار قضيتك دا ؟ "

اجاب "ابو الروس" بفم ممتلئ بالطعام:

"هشوف محامي كويس يظبط لنا القضية و يشيل عني العقوبات...كده كده من البداية دي تهمة متلفقة, وانا مكانش معايا اي مخدرات اصلاً...بدليل انهم خرجوني مؤقتاً مع التحفظ علي املاكي و منعي من السفر"

ردت "سرينة" بإهتمام:

"لو ع المحامي, طلبك عندي....عمي كان جايب محامي إنما إيبيه لقطة, هو اللى خرجني من الحبس لعدم كفاية الميدالية"

صحح "ابو الروس" كلامها قائلاً:

"اسمها عدم كفاية الادلة يا سرينة...متفضحيناش...المهم, اسمه ايه المحامي دا ؟ "

اجابت "سرينة" بسرعة:

" اسمه (مرتضي مردوك) "

رد "ابو الروس" صائحاً:

"نعم ياختي ! دا كفيف مبيشوفش !"

اجابته "سرينة":

"بس يفهمها و هي طايرة, و اشطر محامي فيكي يا جوثام...دا ف ظرف ساعتين خرجني من القضية زي الشعرة من العجين, وعرف يخرجك مؤقتاً كمان"

حك "ابو الروس" ذقنه مفكراً, ثم اردف:

"خلاص, علي بركة الله...بكره هكلمه"

قاطعه عم "فريد" :

"طب ما تعزمه بكره بدل ما تكلمه ؟"

نظر "ابو الروس" مستفهماً, فاجاب عم فريد:

"بكرة حفلة راس السنة, كل سنة وانتا طيب يا ريس"

خبط "ابو الروس" جبهته بيده قائلاً:

"اه صحيح نسيت...دا انا المفروض بعزم كل صحابي و زمايلي بكرة...طب خلاص وضب الدنيا يا عم فريد و ابعتله دعوة حضور زي باقي المدعوين"

هز عم "فريد" رأسه موافقاً, بينما انحنت "سرينة" نحو "ابو الروس" قائلة بخفوت:

"بقولك ايه ياسي بات؟ ماتيجي نخرج انهارده نروح سيما حفلة نص الليل ؟ "

رد "ابو الروس" بإنزعاج:

" لأ....بلاش سينما....بتفكرني بحاجة كده بتضايقني ! "

****

باليوم التالي, في حفلة رأس السنة امتلأ بهو منزل آل "عوضين" بالحضور, عشرات الشخصيات الشهيرة رأيتها لأول مرة في الواقع بدلاً من صفحات الجرائد و شاشات التلفاز...بينما عم "فريد" يشرف بنفسه علي تقديم الطعام و المقبلات للحاضرين..

راقبت بإهتمام تواجد "ابو الروس" بين مجموعة من الاشخاص اتخذوا جانباً بمفردهم, فاقتربت منهم بحذر لأكتشف بينهم بعض الوجوه المألوفة...."ندي البرنس", الدكتور "غريب"...."طوني طارق" !

ما الرابط بين هؤلاء الاشخاص؟

و كيف يمكن لـ"ايرون مان" و "باتمان" ان يندمجا برفقة اشخاص من العامة احدهم دجال و الاخري ناشطة حقوقية ؟

دققت النظر إلي "دينا البرنس"...إن التشابه قريب للغاية, ربما كانت المرة الأولي التي انتبه لذلك الآن !

شعر "طوني طارق" باقترابي, فتوجس قليلاً, ولكن "ابو الروس" ربت علي كتفه قائلاً بمرح:

" لأ متخاقش يا ايرون يا صاحبي...دا (هلال) المساعد الجديد بتاعي"

ثم همس في اذنه قائلاً:

" و عارف اني باتمان....بيساعدني في العمليات السرية برضو "

ابتسم "طوني طارق" نحوي قائلاً:

"اهلا بيك...ثواني بس لما (كرفس) يتعرف عليك "

رددت ببلاهة : " (كرفس) مين ؟ "

رد "طوني" ضاحكاً:

" دا الذكاء الاصطناعي الخاص بيا...عن طريق نضارتي بيقدر يراقب و يسجل كل حاجة بشوفها"

ثم لمعت نظارته بوميض ازرق خفيف للحظات, فابتسمت مرتبكاً...

ثم سحبني "ابو الروس" من ذراعي ليدخلني إلي الدائرة قائلاً:

"دا (هلال) يا جماعة ...المساعد الجديد بتاعي"

ثم اشار لأحد الواقفين بصوت خافت:

" دي (دينا البرنس)...ست الستات"

تمتمت بانتصار: "كنت حاسس والله ! "

ثم اشار بيده مكملاً: " و دا الدكتور غريب...قابلناه اكيد قبل كده, و احد اهم اعضاء فرقتنا الخارقة... متقلقوش يا شباب علي هويتكم السرية, هلال مننا و علينا خلاص "

ثم رحل ليستقبل سائر ضيوفه, ليتركني في شدة الاحراج امام من كُشف له هويتهم السرية في لحظات..

ارتبكت من وقوفي بينهم, فطلبت الاذن بالابتعاد, تاركاً تلك الكارثة التي ورطتني بها "أبو الروس".. حاولت الانزواء قليلاً بعيداً عن الجميع, فتناهي لأسماعي حديث بين شخصين, يطلب احدهما من الاخر أن يخترع له علاجاً سريعاً لتساقط ريش أجنحته !

هاقد امتد بي العمر, لأحضر حفلاً يعج بالابطال الخارقين و المتحولين...

امسك بي شخص فجأة من مؤخرة ذراعي, فالتفتت مسرعاً, لأجده رجل اصلع اسمر البشرة, ذو عصابة علي احدي عيونه, بينما تنظر عينه الاخري لي بتحفز شديد..

"انتا مين ؟ "

اجبته بإرتباك: " انا هلال..مساعد (ابو الروس عوضين) الجديد "

رد بإقتضاب: "مممممم...انتا بأه (هلال مان) ؟ "

بادرت بالرد فوراً: "تحت امرك يا باشا"

اردف بجدية: "انا العقيد فوزي ابو عين" من هيئة (الدرع) "

سألته بإهتمام: " اسف والله, اول مرة اسمع عن الهيئة دي يا باشا؟ "

رد بحزم: " عارف رابطة العدالة ؟ احنا بقي هيئة (الدفاع عن رابطة العدالة)...د ر ع , احنا اللى بنحميهم في وقت الخطر"

سألته : طب وانتو مين اللى بيحميكم ف وقت الخطر ؟ "

تركني العقيد "فوزي" مغتاظاً, لأستمر في البحث عن "ابو الروس" والذي وجدته واقفاً مع رجل مسن يجلس علي مقعد متحرك خاص, بينما يحادثه "ابو الروس" بإهتمام:

" الواد (دومي) دلوقتي ف 6 ابتدائي , و كنت بتمني لو حضرتك توافق علي اني اقدم له السنة الجاية في مدرسة(الموهوبين الخاصة الاعدادية بنين) بتاعتك يا دكتور سفير"

هز الرجل رأسه بوقار دون كلام, بينما اقتربت من "ابو الروس" هامساً:

" عاوزك ف حوار كده,المحامي (مرتضي مردوك) قالب الدنيا و بدأ يزعق"

اجاب "ابو الروس" هامساً:

" هو كده دايماً...عصبي و لسانه طويل...بس مش وقته, دلوقتي فيه حاجة مهمة"

ثم اتجه "ابو الروس" نحو مهندس الصوت المسئول عن تشغيل الموسيقي الداخلية للقصر, ليطلب منه ايقاف اغنية "في بلد البنات" للملك محمد منير, مما تسبب في شعور "دينا البرنس" بالضيق لنهاية الحفل..

امسك "ابو الروس" بالميكروفون قائلاً بحماس:

"اهلاً وسهلاً بجميع المدعوين..كل سنة و انتو طيبين و يارب تكون سنة سعيدة عليكم..

ثم تقدم بين الحضور الذي اجتمع حوله في دائرة كبيرة, مستكملاً:

"السنة اللى خلصت دي حصل فيها حاجات وحشة كتيرة, بس حصل حاجات حلوة اكتر.. و اوعدكم ان اللى فات مات, و اللى جاي هيبقي احلي اكيد...و علشان كده حابب ابدأ السنة الجديدة بحاجة حلوة.."

ثم تقدم بعض خطوات مقترباً من "سرينة" التي ارتدت فستاناً اسود ابرز مفاتنها جيداً للجميع,ثم اقترب "ابو الروس" نحوها قائلاً في الميكروفون, بينما تقترب ارقام العد التنازلي خلفه علي الشاشة الكبري من الصفر..

"سرينة كامل....تتجوزيني ؟ "

****

(16)

تزامنت دقات الساعة لتعلن عن بدء العام الجديد, مع التصفيق الحاد للحاضرين إثر إعلان "سرينة" عن موافقتها علي عرض "ابو الروس", وقبل ان يتمكن "أبو الروس" من احتضانها بسعادة, تعالت اصوات الصراخ من كل مكان...

هب "ابو الروس" من موضعه, بينما اندفع من اركان المنزل رجال ملثمون بأقنعة بيضاء تحمل ألواناً فاقعة كألوان المهرجين, يشهرون أسلحتهم النارية في اوجه الحاضرين, و يقومون بتفرقتهم إلي مجموعات صغيرة يشرف كل فرد منهم عليها....و من اعلي درجات السلم, ظهر زعيمهم...الجوكر !

"كل سنة وانتا طيب يا ابو الرووس ! "

خرج الجوكر من موضعه, ليفاجأ الجميع به و قد احاط طفلاً مكبلاً بذراعه الممسكة بسكين, و في يده الاخري سلاح ناري يصوبه لرأس الطفل..

"مفاجأة حلوة...مش كده ؟؟ نياهاهاهاهاهها ! "

اسرعت بالاختباء خلف فرقة الابطال الخارقين, بينما قطب "ابو الروس" حاجبيه, و توترت قبضته,ليصيح فيه بغضب هادر:

" سيب (دومي) في حاله يا جوكر...مشكلتك معايا انا ! "

اجابه الجوكر بنبرته الساخرة :

"مشكلة إيه ؟ انتا عارف انا جاي لك هنا ليه اصلاً يا ابو الروس؟ "

صمت "ابو الروس" عاجزاً عن الرد, بينما رد الجوكر ضاحكاً:

"شفت ؟ انتا مش عارف انا هنا ليه اساساً ! انا جاي اخلص حاجة وهمشي, قبل ما باتمان يظهر"

تمتمت في سري:

"الجوكر ميعرفش هوية باتمان الحقيقية ! اومال ايه اللي جابه هنا ؟ "

يبدو علي "ابو الروس" انه يشاركني نفس طريقة التفكير, وهذا ما بدا واضحاً علي ملامح وجهه المتوترة...ما سبب مجئ الجوكر إلي هنا؟ مادام السبب بعيد عن باتمان ؟!

صاح "ابو الروس" متوسلاً:

"من فضلك يا جوكر...سيب ابني, و انتقم مني زي مانتا عاوز ! "

اجاب الجوكر بغضب: "افهم يا غبي...انتقامي من ابنك انتا, مش منك.."

ثم نظر نحو (دومي) المنهار من كثرة البكاء الصامت, و اكمل:

"ابنك هو السبب ف اللى انا فيه...انا من سنتين كنت احسن مهرج في السيرك القومي...عروضنا كومبليت لمدة شهور قدام, لغاية اما انتا جيت, و بفلوسك اشتريتني من مدير السيرك لمدة ليلة واحدة, اقدم فيها فقرة ف حفلة عيد ميلاد ابنك....فاكر يا باشا ؟! "

ارتجفت ملامح "ابو الروس", بينما سري التوتر في ارجاء المكان, و استمر الجوكر في موضعه ممسكاً بـ(دومي) قائلاً:

"حفلة عيد ميلاد كبيرة, هنا ف نفس المكان اللى احنا فيه دا...حفلة من بتوع الناس الهاي كلاس...فرصة كبيرة ليا, أكبر من اي عروض سيرك عملتها ف حياتي...كانت ممكن تبقي نقطة انطلاق ليا وسط الناس الاغنيا, لكن ابنك...ابنك دا...بوظلي اليوم ! "

ضغط بقبضته علي جسد الطفل, ليستمر نشيجه و يستمر توتر "ابو الروس" معه, بينما يستكمل الجوكر سرد ذكرياته السوداء :

"ابنك هو وصحابه العيال هزأوني, و بوظوا فقرتي, و خلوا الناس تضحك عليا...الناس ضحكت عليا مش ليا...و ساعتها سيادتك كلمت مدير السيرك وانتا متنرفز عشان عيد الميلاد باظ...افتكرت يا باشا؟ "

اغمض "ابو الروس" عينيه منكساً رأسه في أسي, بينما اردف الجوكر:

"اترفدت من السيرك...فلوسي خلصت...مراتي سابتني, و اكتئبت واهل المنطقة بلغوا عني...اتمسكت و رحت سراية اركام الصفرا...لكن قدرت اهرب, و طلعت منها اقوي من الاول..و بقيت الجوكر ! "

ثم دنا اكثر من "ابو الروس" حتي صار الفارق بضعة أمتار, مكملاً:

"و خططت لانتقامي من البداية...انا اللى حطيتلك المخدرات ف العربية, وانا اللى كنت السبب في قضيتك انتا و الهانم يومها...لولا شغل المحامين, كان زمانكم دلوقتي ف السجن ! لكن ملحوقة, يانا يانتا انهارده يا (ابو الروس)"

ثم بحركة خاطفة, دفع الجوكر بالطفل بعيداً, ليطيح بالسكين نحو "ابو الروس" الذي استطاع تفاديها بصعوبة, ثم فاجئه الجوكر بطلقة نارية من مسدسه اصابت ذراعه اليسري..

ارتد "ابو الروس" بقوة للخلف, لكنه عاد مرة أخري نحو الجوكر ليعاجله بلكمات متتالية, طرحت الجوكر أرضاً و ابعدت سلاحه عنه...

سارع رجال الجوكر بتقديم العون, ولكنهم فوجئوا بحفنة من الأبطال الخارقين انبثقوا فجأة, و احاطوا بهم بسرعة فأعلنوا استسلامهم و ألقوا اسلحتهم أرضاً...

تقدم "ابو الروس" نحو الجوكر الملقي علي ارضية المنزل, ليمسك بياقة بذلة الجوكر بحزم:

"محدش يبوظ حفلة (ابو الروس) و يخرج منها سليم ! "

ثم عاجله بلكمة اخري افقدته الوعي, ليسرع "ابو الروس" بعدها نحو ابنه محتضناً إياه في حنان, ثم ذهبت نحوه لتأتيه "سرينه" و عم فريد, و نحيط به برفق, بينما يتناهي إلي اسماعنا اصوات سيارات الشرطة القادمة خارج القصر في اولي دقائق العام الجديد...

****

مر شهران, انتهت فيها جميع مشاكل قضية "ابو الروس" بعد ان تمكن من عرض شرائط المراقبة الخاصة بالقصر, والتي ظهر فيها الجوكر معلناً اعترافه الواضح بتوريط "ابو الروس" في قضية المخدرات...و تمكن "ابو الروس" من تسوية الامور مع وزارة الداخلية, كما انهي مشاكله المتعلقة مع (تاليا) ابنة (راس الغول), ليتمكن من ضم ابنه (دومي) إلي حضانته للأبد, بعد قرار اعلانه اعتزال العمل الخارق, و الاهتمام بإنشاء اسرة سعيدة هادئة...

و في قاعة الماسة, استعد الحاضرين لحفل زفاف "ابو الروس" و "سرينة", والتي ارتدت يومها فستاناً مبهراً جعلها كالملكة المتوجة,و لا داعي للحديث عن مفاتنها البارزة, لأنها صارت معلومة أكيدة مكررة..

حضر "ابو الروس" ببذلة سوداء انيقة متقدماً نحو عروسته الفاتنة لبدء مراسم الزفاف...

سالت الدموع من عيني فرحاً بما اراه, فبعد كل ماحدث, هاهي النهاية السعيدة تأتي للبطل الهمام "باتمان", كأفضل مكافأة له علي اعماله البطولية المستمرة...

و علي نغمات اروع اغاني المهرجانات, اهتزت القاعة بالضجيج و الرقص, لتتلاقي بالصدفة عيني مع عيون "ابو الروس", فيهز رأسه في امتنان, ثم يستكمل اندماجه مع البقية بسعادة و فرح..

.....

.....

....

..

هل هي النهاية ؟ اظنها نهاية مناسبة, يسعد بها الجميع, و ربما لم يُكتب النجاح لروايتي المزعومة عن الابطال الخارقين في أن تلحق بموعد طبعها في معرض الكتاب, ولكنني قررت التغاضي عن تلك الفكرة نهائياً...ما رأيته و عاصرته خلال الشهور السابقة, لن يصدقه احد حتي ولو افترضنا انها احداث من ضرب الخيال...و لكن يكفيني ثقتي الكاملة, بأنني - ولفترة من الوقت – كنت مساعداً لبطل خارق حقيقي علي ارض الواقع....بطل يرتعد المجرمين من مجرد ذكر اسمه...

باتمان..

تمت الرواية بحمد الله

من الفترة "منتصف يناير 2020 حتي بدايات مارس 2020"

اتمني أن اكون قد استطعت ولو رسم الابتسامة علي شفاهكم,

فهي مجرد تجربة بسيطة لم يكن الغرض الاساسي منها إلا الاستمتاع..

اتوجه بالشكر و الامتنان لجميع اصدقائي ممن شاركوني إقتراحاتهم

و افكارهم لتطوير الرواية بكل حب

Hamees Khalid

Youssef Tarek

Tamer Zaafrani

markinson buka'a lawoumak

إسلام عماد

2020